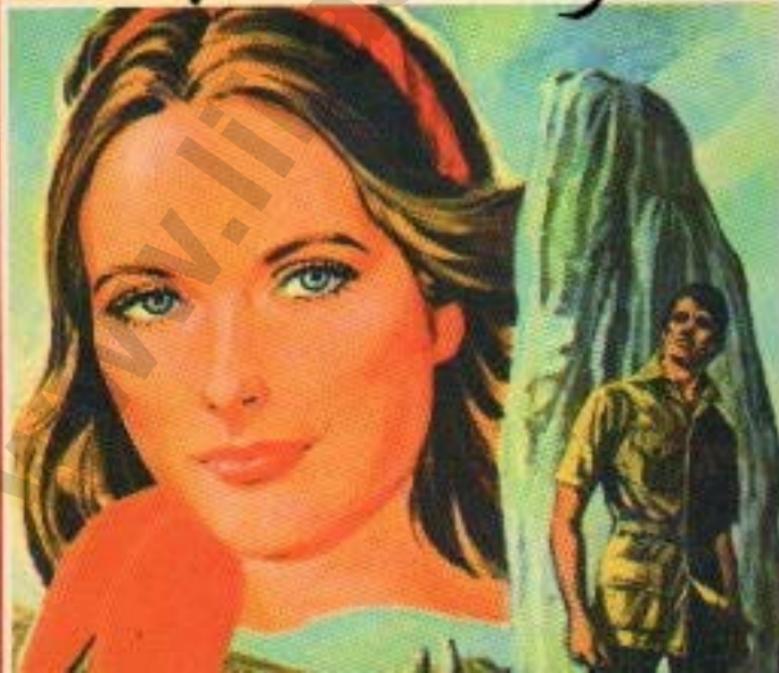


مجلة
روايات احلام



الراشتة اثنان
فرانشة احبة



مجلة روايات احلام

الخائن

هل صادفت يوماً رجلاً كهذا؟ رجلاً يدخل قلبك بدون سابق إنذار ويحتل عقلك بدون أن يترك مجالاً لأحد؟ هل أحببت يوماً رجلاً مجرد أنه يضع ثلات ملاعق سكر في قهوته؟

قد تكون أورسولا فتاة حالة ولكن عالم فيدل زارا
كوتشي تجاوز أحلامها... كان عالماً فاحش الشراء
والسلطة سرق منها راحة بالها وصفاء تفكيرها... ولم
 تستطع القبول بقوتين هذا العالم حيث كل شيء مباح،
وحيث الحب لعبة والزواج مظهر شكلي ليس إلا...
لا... لن تقبل أورسولا أن تترك زوجها لعشيقته مهما
 كانت عواطف فيدل... لن تقبل أن يسرق أحد حبها؟

لبنان ٢٠٠٠ ل.	الامارات ٦٠ د.	مصر ٤٤ ج.	لبنان
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠ د.	القمر ١٥ د.	السودان
الأردن ١ د.	البحرين - ١ د.	تونس ١٠ د.	السودان
الكريات ٥٠٠ ف.	السموحة ٧ د.	عمان ٦٠ د.	العراق

١ - بحثاً عن فريسة

نظرت أورسولا من فوق كيافها إلى صاحب الصوت العميق الذي
همس «جميلة..» وعرفت حتى قبل أن ترى الرجل الأسمراً الأجهش
الصوت أنه يشير إلى لوحة «الموتاليزا». ردت، وعيناها الخضراوان
الباردتان تcumان أنها محاولة للرد:

- أعتقد أن أكثر من شخص علق على جمالها قبل الآن.
ومن ذلك لم يرتدع الرجل بل قال بالإنكليزية: «كنت هنا بالأمس
أيضاً».

كيف عرف أنها إنكليزية؟ ردت: «أنت دقيق الملاحظة».
شعرت بأن عيون الحراس تراقبهما.. لماذا لا يبعد؟ من هو على
أي حال؟ ليس فرنسياً.. ماذا إذن؟ الماني، نمساوي أم سويسري؟..
حاول مرة أخرى، وكانت لكتته في هذه العزة أشد بروزاً.

- أتحبين اللوحات؟

بدت لهجته أكثر انكساراً، وأكثر إثارة، وهي متأنكة أنه يتعمد
هذا.. فرنست إليه بطرف عينها. إنه غير سيء، هذا إذا مالت إلى
المدينيين المتحذلقين من رجال الأعمال الأوروبيين.. لكنها شخصياً
تفضل الأشخاص المهتمين بالفن.

كان يتضرر ردها، فوجدت لبرهة صعوبة في تذكر السؤال. أخيراً
كررت:

- هل أحب اللوحات؟ بعضها.

لم تقل له إنها تريد أن تصبح رسامة في يوم ما.. قال، وعيناه
الزرقاوان دافتان عليها:

- حينما أكملت في باريس أُرُور اللوثر دائمًا. هل أنت في عطلة؟

ردت بحرم، تتبع نظارتها الواقية من الشمس عن رأسها، لتدسها
فوق أنفها: «لا، والآن هلا عذرتنى».

وتجاورته فشمت عطره الغالي الثمين، أحست بتشعربرة وتصلب

ظهرها.. وهي تجبر نفسها على متابعة الطريق في المعرض، عرفت أنه
كان يراقبها طوال الوقت، يراقب ثوبها الصيفي الأخضر والأبيض

الهادئ، وصندلها العالي الكعبين الذي يزيد من إبراز طول ساقيهما،
وجمال جسدها التحيل المناسب. انتظرت حتى ابتعدت عن ميدان نظره

قبل أن تحاول أن تردد بضع خصلات قصيرة من شعرها السلالي إلى
مكانها. انقلب ابتسامتها الواردة عادة، إلى خط حارم فائمه الله من

الرجال ينظرون إلى المرأة وكأنها حق مكتسب لهم.. حسناً.. هذه
المرارة لن ينفع.. ولكن الغريب أنه لم يكن في هذه الفكرة ما يرضيها.

لم يكن التوتر قد زال عنها حتى بعدما دخلت إلى شقها في الطبقية
الرابعة. وقد ساعدتها حسن الحظ هذه المرة إذ لم تجد الفتنيات

المشاركات في السكن في الشقة فأحسنت للمرة الأولى بأن المكان لها
وحدها.. كانت الشقة حارة، هواءها غير عليل، فسارعت إلى فتح

النوافذ، ثم دخلت إلى المطبخ الصغير، فشاهدت رسالتين تصيرتين
على الطاولة، ولكنهما لم يكونا من إيماء. ربما يجب أن تصل هاتفيًا
بلندن، فلم يبق أن تأخرت زوجة أبيها في إرسال نفقاتها.

ووجدت بعض الليمونات فصبت لنفسها كوبًا.. هذا أفضل! لم
تشعر قط بمثل هذا الحر ولا يقع الذنب إلا على ذلك الرجل الذي

تمكن حقًا من التأثير فيها. ففي العادة يحصل منها الرجال على نظرة

فطة، وبنقيهم سهولة على يد ذراع منها.. ولكن ماذا عن الرجل
الذي كان في اللوفر ولماذا جعلها تحس بشكل مختلف؟
رفضت التفكير فيه أكثر من ذلك فأسرعت تتناول أوراق الرسم
وتنجح إلى الشرفة.

هناك على الشرفة شرعت أوروسولا ترسم رسومًا خطوطية صغيرة.
رسمت بطريقة لا واعية رأسه وكتفيه كما رسمت بطريقة ما ارتفاع
شفتيه عندما ابتسامة حائزة.. وفي رسم آخر أظهرت فرق شعره
الأسود الناعم. غريب أمرها فكيف استطاعت تذكر تفاصيل ملامح
ذلك الرجل بعد لقاء قصير.. ربما السبب عينها الفنية المحترفة!..
امثللت الصفحة بسرعة.. بدا في قمة الصفحة جانب وجهه الصارم..
وفي مساحة غريبة كان وجهه يبتسم لها. وهاتان العينان الزرقاوان
ساحرتان وشهوانيتان.. التقطت في بضع خطوط ماهرة أهم ما في بنت
الرجل، القامةالمديدة ورجلوله البارزة. أحسست أوروسولا أن راحتني
يدبيها تضحك عن قلبها.. ربما رسمت ما يكفي.. فوضعت أوراق الرسم
جانبًا ثم تمددت قليلاً على الفراش الموضوع على الشرفة علها تساه
ولكى ما هي إلا لحظات حتى انجرفت إلى حلم لاوع لذيد.. وسمعت
بطريقة ما لكتة ناعمة مثيرة لشخص يهمس «جميلة».

وشاهدته ثانية ولكنها في هذه المرة لم تتحجج حتى إلى أوراق
رسمها.. فقد شاهدت خطوط وجهه القوية الجذابة وهو ينظر إليها من
علو.. وهذا ما يعني أنه طويل، بل طويلاً جداً.. كانت عيناه زرقاوين..
أجل.. و تستطيع أن ترى كيف الثوت شفته إلى الأعلى.. تعلمليت في
مكانها. كانت حشرة صغيرة تسير فوق شرة ظهرها الرطبة. فلنفترض
أنه موجود الآن هنا.. مهما كان اسمه.. تصورت راحة يده الناعمة
تنسل إلى خصرها.. ثم.. سمعت من ينادي اسمها.. لقد عادت
إحدى الفتنيات وهي تسأله أوروسولا إن كانت ت يريد مرافقتها إلى الحفلة؟

بالطبع تزيد.. والحمد لله أنها أبقيتها من أفكار جريئة كهذا!

لم يكن النساء مثيرة كالعادة.. وقت أورسولا لحظات، ترافق الجميع وهم يرقصون. كانت الغرفة عابقة بالدخان صالحية بأصوات الموسيقى، ولكن فيها شيئاً ما ما يزال ناقصاً.

كان الساحرون قد أعدوا العدة للقيام بنزهة صباح الأحد وهذا النوع من التر Hatch هو ما تحبه أورسولا، ولكنها اعتذرت واتخذت من الرسم حلة قاتلة: «لقد فررت أن أبدأ الرسم يوم الاثنين» وفي الواقع أن أورسولا كانت بحاجة اليوم إلى يوم هادئٍ تقضيه بمفردها، فهي تشعر بالملائكة... وستصل هانيناً يوماً لتعرف ما أخزّها عن إرسال المال سحرًا أو غير الإجلال عن رسالتها الآخرين.. كانت أورسولا لحسن الحظ تسرّر قليلاً من صروريتها، ولذلك الإيجار مؤمن بضعة أسابيع قاتلة.. ولكن سألاً بعدت الآسيع؟

استمرت السهر على أعلى تكون إيمان متباعدة ولكنها لم تلتقي به.. تجهيز وجه أورسولا وتساءلت عن الخطب.. بالطبع لا.. غالباً آخر الستة سرعان ما تصل..

عادت الساحة إلى مكانها، وعادت إلى غرفتها حافية القدمين. النسخ حار اليوم أيضاً، ربما عليها أن تحمل أوراقها إلى ضياف «لين» الذي سجده في مكانه رائعاً.

كانت تتناول عادة الغداء في الخارج.. ولكن المطر جعلها تقصد، فجمعت بعض البسكويت والجبين وأعدت سلطة ثم صبت ما تبقى من الليمونة في إبريق حافظ للبرودة مع بعض مكعبات الثلج.

تجولت بسعادة في الشقة الصغيرة التي شففت بها. هي ما تزال حتى الآن تذكر الانفعال الذي غمرها يوم وافق والدها على السفر إلى باريس.. باريس! يا له من حلم! ويا لها من فرصة رائعة في الواقع، كان ترك الوطن أفضل حل لها لأن والدها كان قد تزوج من إيماء، وهما

لم ير غباً بالطبع في اينة ناضجة تدور حولهما..
جلست على طرف الطاولة، تحدق بحزن إلى السقف المنحدر..
حدث ذلك منذ خمسة عشر شهراً فقط.. قبل أن يصاب بنوبة قلبية ولكنه رغم مرضه أصر على أن تساوره إلى باريس، ولم يمض شهر تشرين الثاني حتى توفاه الله.. وكان عبد الميلاد بالنسبة لها رهباً، وتساءلت عما إذا كانت إيماء مستمع لها بالسفر.. لكن زوجة أبيها أصرت على أن تساوره.. حين اتصلت أورسولا بالمنزل، منزل أبيها، رد عليها رجل.. لم تفهم أورسولا كيف استطاعت إيماء الانتقال إلى رجل آخر بهذه السرعة، وما إن حانت عطلة الفصح، حتى انقضت لأورسولا أن لإيماء أكثر من رجل..
تنهدت ثم رأت طعامها إلى البراد.. لهذا السبب أصرت إيماء على أن تبقى أورسولا في باريس حتى خلال إجازة الصيف.

ولكن مشكلة المال بحاجة إلى حل.. دخلت إلى غرفة الجلوس، واتصلت من جديد فإذا بها لا تلتقي رداً.

كانت نزهة ممتعة قضتها في الشوارع المهجورة ذلك الأحد.. كانت تحمل طعامها وعدة الرسم وهي اليوم مرتدية تنورة قطنية زرقاء باردة، وهي شيرت قصير مثلث البالقة مخطط بالأزرق والأبيض. أما شعرها فأرسلته على كتفيها حرًّا طليقاً.. وكانت نظارة شمسية ضخمة تكمل مظهرها العفوي العادي.. ستنضم اليوم بعيداً عن تحرشات الرجال الشريرة..

سرعان ما امتلأت أوراقها بالرسوم.. كانت قد استقرت قرب ماء جار على كتف أحد الجسور وبالقرب من هذا المكان مرفاً لنادي بحوث فرنسي.. كانت البخوت بصواربها الهابطة أنقباً فوق سطحها مستكينة، وهي جميعها تحمل أعمالاً مختلفاً للبلدان.. نقلت إلى أوراقها صورة رجل ضخم الجثة يعني غليونه وصورة فتاة تنشر الغسيل على شريط

بلاستيكي رفيع . ومر الوقت وأصابع أورسولا لا تنفك عن الحركة .
بعدما انتهت من رسم الوجوه انتقلت إلى رسم الجسر الجميل
والزوارق التجارية ومراتكب اللهو الكبيرة الخضراء المكتظة بالسواح ،
والمطاعم العائمة ومراتكب العمل .
كان الناس يغدون ويروحون متوفين قليلاً قربها ليراقبوا وهي
ترسم .

عندما عادت إلى الشقة لم تجد رسالة من إيمان . ربما سافرت
لقضاء عطلة الأسبوع . حاولت أورسولا إبعاد المشكلة عن تفكيرها ،
ودخلت إلى المطبخ لتحضير عشاء . لكن الصبح التالي لم يحمل معه
أية رسالة . شعرت بالراحة لأن الفتى خرج إلى العمل باكراً فالمكان
يعج بأغراضها . من دورها اليوم في تنظيف الحمام ؟ نظرت إلى اللوح
الصغير المعلق فوق الطباخ . في كثير من الأحيان لا تلتقي الفتى
مدة أسبوع كامل ببرن يبعضهن بعضًا كالمراتكب في الليل . ووسائلهن
الوحيدة للاتصال ، قطعة طبشور .
شقت طريقها بصعوبة مع لوحاتها وحملة اللوحات وقطعة كرتون
ضخمة .

استقلت سيارة أجرة أوصلتها إلى الموقف . ما إن رأت المتحف
حتى نسبت كل شيء . إنها العرفة الأولى التي تأتي بها إلى معرض
لوحات لنسخ إحدى لوحات رسام كبير .
اختارت نسخ لوحة «الحداد» للفنان «نلين». ساعدتها أحد
المعادين في المعرض على فرش قطعة قماش ضخمة لحماية الأرض
المصقوله ، مازال الوقت باكراً والمعرض فارغاً تقريباً .
كانت غارقة في عملها تضع ممعظها قدماً ملطفاً بالدهان فوق جيتز
وقميص ، تعود اللوحة إلى القرن السابع عشر وهي عبارة عن دكان
حداد ، يظهر فيها ثلاثة أشخاص هم الحداد وزوجته والده .

رسمت معالم الحداد وزوجته والوالد العجوز الجائس في
الزاوية . عملت أورسولا بدون انقطاع غير عابنة بالأشخاص الذين
دخلوا إلى المعرض ليراقبواها ترسم . لقد أصبحت معهادة على هذا .
كان والدها يقول إنه من المؤسف ألا تعيش أمها لنرى هذا . لكن
أورسولا لم تكن تذكر أمها ، فقد ماتت ولها من العمر أشهر معدودات .
أخيراً ارتدت إلى الوراء تقوم عملها ، فإذا هو لا بالسيء ولا
بالجيد . فزاوية سندان الحداد غير صحيحة . وفيما هي غارقة في
عملها ، تناهى إليها وقع أقدام بطئية . واحد . اثنان . ثلاثة .
حدقت أورسولا إلى رسماها بعيتين لا تزيان شيئاً . ولكنها ما كانت ،
ولو مقابل مليون جنيه ، مستقبل بالالتفات ، التقطت فرشاة وخرقة
قماش ، فلاحظت أن يديها ترتجفان .

- جميلة .

قالها مرة أخرى ، وكان يقف وراءها مباشرة . لم تكن الموناليزا
أمامهما . تحتحت أورسولا وقالت دهشة :

- آه ، هذا أنت مرة أخرى .

ثم التقطت بعضاً من الطلاء الذي فرشته على حمالة الألوان .
ولكنها زادت الكمية . كانت تحس بعينيه عليها ، إنهمما فعلـاً زرقاوان .
رأته اليوم مرتدياً بذلة أخرى رائعة ويتعلّم حذاء متيناً .
ثارت فيها العجب ونظرت إليه ، فالتقت عيونهما . تسمّرت عيناهما
وأخذت بمعدهتها تقلص ، فاضطررت إلى إشاحة بصرها بسرعة شاعرة
بحراره مقاجنة ، ومانقطع أنفاسها .

وكأنما استجابة لارباكها قال بصوت قاطع :

- هل أنت طالبة في باريس ؟

تابعت مرج الطلاء مع أنها لم تكن تريد ذلك : أم أنه تعملى هنا
أثناء العطلة ؟

تشقت عطره العاد الغامض الحيوي.

- أنا طالبة في باريس .. مضى على حوالي السنة .. أهذا وقت استراحة الغداء عندك أم أنك تجوس الأرض طوال النهار بحثاً عن فريسة؟

النوت شفتاه بغضب، ثم سمح المرح الخطوط القاسية عن وجهه .. وبدأ لها وائقاً من نفسه. كانت حقيقة رقيقة غالبة الثمن تتبع تحت ذراعه ..

عيسى ببراءة وقال مدمداً بطريقة مفرطة:

- عذرآ .. ماذا تقصدين بـ «تجوس».

ارتعدت أورسولا، يا الله، ما هذه المكثفة؟

قالت، بصوت مرتفع قليلاً: «تطوف، تطارد، تتعقب».

نظر إليها الحارس وابتسم.

قال مرة أخرى بصوت هرة مفترسة خطيرة:

- آه! أجل .. أنا أجوس لأصطاد إنما فقط حين أرى ما أريده بشدة.

النوت مرة أخرى عيونهما، وتشابكت .. وأحسست أورسولا بالذعر والإثارة يختلطان بغضب بارد فارس. قالت، وهي تنظر إلى الحارس نظرة ذات مغزى:

- هلا ذهبت من هنا وتركتني وشأنى!

لكن الحارس كان يتحدث إلى جماعة من السواح ..

- لا تخضسي .. تعالى وتناولي الغداء برفقتي ..

- اذهب إلى الجحيم!

فتح يديه سائلاً: «الجحيم؟!

صاحت: «لا تبدأ بهذا مرة أخرى، إنك تشن الإنكليرية إنقاني لها».

- القهوة إذن ..
لوحة أورسولا بفرشاة الرسم نحوه، فارتدى إلى الوراء خطوة قوية.

- ابتعد، ودعني وشأنى .. وإلا طلت اعتقالك!
ابتعد .. هكذا بكل بساطة. عادت إلى رسماها وهي تشعر بفجأة بخيبة أمل .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. وقع الخطى نفسه .. ثم توقفت .. آه لا ..! لقد جلس على مقعد من المقاعد الجلدية المعدة للزائرين الراغبين في الراحة والتمتع باللوحات. لكنه لم يكن ينظر إلى اللوحات، بل ينظر إليها .. لا يأس .. انكبَّ على تلوين ستة الحداد .. يا للإزعاج .. اللون غير مطابق أبداً .. ومرت عشر دقائق، عشرون ثم مسحت ثانية غلطتها بقطعة قماش .. نصف ساعة ..

وضعت فرشاتها ولوحة الألوان من يدها: «حسناً ..
وتدت نحو المقعد: «ستاناول القهوة برفقتك شرط أن تتركني وشأنى في ما بعد».

كان لديه الوعاهة للتفكير في الأمر. أخيراً حرك جسمه المديد القامة الخطير الرجولة ليقف:

- حسن جداً آنسة أورسولا تريمان .. ستناول القهوة، وفيما بعد ..

قاطعته، وعيناها متسعتان دهشة في وجه براق فاتن:
- كيف عرفت اسمى؟

ومض ضوء غريب في عينيه، ثم قادها إلى حامل لوحة الرسم وهناك أشار إلى الاسم الذي كتبته بنفسها على الغطاء المفتوح، يوم أعطاها والدها تلك العلبة المثلثية الضخمة التي تضم الطلاء الملون. قال ثانية، بصوت منخفض وكأنما يكلم نفسه: «أورسولا ..

لـ . لم يستطع أحد اسها بهذه الطريقة .
ذكرتهـ : «القهوة فقط» .
أكـلت عـشاء العـلبة «عـشر دقـائق وبـعدهـا تـغـادر» .

الـستـطـتـتـتـ حـتـيـتـهاـ ، وـتـرـكـتـ كلـ ماـ تـبـقـىـ تـحـتـ أـنـظـارـ الـحارـسـ
الـيـقـتـ. كـاتـتـ عـادـةـ تـنـتـعـ مـعـطـفـ الـعـمـلـ قـبـلـ الـذـهـابـ لـتـأـتـالـ القـهـوةـ،
وـلـكـنـ ظـهـورـهـ معـ اـمـرـأـ غـيـرـ أـنـيـةـ سـيـفـيـهـ، كـتـفـيـرـ. لـقـدـ أـنـبـأـهـاـ حـدـسـهـاـ بـأنـ
رـجـلـ مـثـلـهـ لـاـ يـخـرـجـ مـعـهـ إـلـاـ أـنـيـقـاتـ.. سـأـلـتـ نـفـسـهـ: فـلـمـاـذـ إـنـ يـزـعـجـ
نـفـسـهـ؟؟

كـانـتـ قـدـ قـرـرـتـ الجـلوـسـ مـعـهـ فـيـ صـمـتـ مـطـبـقـ.. لـقـدـ قـالـتـ
«الـقـهـوةـ» وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـذـكـرـ شـيـئـاـ عـنـ الـحـدـيـثـ. اـسـتـدـارـتـ الرـؤـوسـ حـالـماـ
دـخـلـاـ إـلـىـ المـقـهىـ وـكـانـتـ النـسـاءـ يـدـيـنـ الـاعـجـابـ الـصـرـيـحـ بـهـ.. إـنـ فـعـلـاـ
رـجـلـ جـذـابـ.. جـذـابـ؟ أـوـ وـسـيمـ؟ لـاـ.. لـيـسـ بـالـضـيـطـ. حـاـوـلـتـ أـنـ
تـدـوـسـ بـعـينـ هـادـةـ كـمـحـرـفةـ. كـانـ قـوـيـاـ، وـاسـعـ الـحـيـلـةـ، رـجـلـ، مـلـوهـ
الـحـيـوـيـةـ.

- كـيفـ عـرـفـتـ يـوـمـ السـبـتـ أـنـيـ إنـكـلـيـزـ؟
ـ سـمعـتـ تـنـكـلـمـنـ مـعـ أـحـدـ الـمـسـاعـدـيـنـ فـيـ الـمـعـرـضـ.
ـ كـانـاـقـدـ وـصـلـاـ أـمـاـمـ الـطاـوـلـةـ، فـأـرـجـعـ لـهـاـ كـرـسيـاـ لـجـلـسـ، وـأـكـملـ:
ـ فـرـسـيـتـكـ بـجـودـهـ فـرـنـسـيـ تـقـرـيـباـ.
ـ لـهـمـجـهـ تـدـلـ عـلـىـ أـنـ مـاـ قـالـهـ لـمـ يـكـنـ إـطـرـاءـ لـأـيـ مـنـهـمـ، فـصـرـتـ
ـ أـورـسـوـلاـ عـلـىـ أـسـتـانـهـاـ. بـعـدـ ثـمـانـيـةـ أـسـبـعـ فـيـ مـعـهـدـ لـغـاتـ وـتـسـعـةـ أـشـهـرـ
ـ فـكـلـةـ الـفـنـونـ، بـدـأـتـ تـظـنـ أـنـ فـرـسـيـتـهاـ أـكـثـرـ مـنـ مـقـبـولـةـ. سـأـلـتـ بـعـدـماـ
ـ طـلـبـ الـقـهـوةـ:

- أـنـتـيـ دـائـماـ إـلـىـ بـارـيسـ؟
ـ عـدـةـ مـرـبـاتـ فـيـ السـنـةـ.. وـسـأـبـقـيـ هـذـهـ المـرـةـ حـتـىـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ.
ـ آـهـاـ وـمـنـ أـينـ أـنـتـ؟.. أـنـاـ.. لـمـ أـسـتـطـعـ تـميـزـ الـلـكـنةـ.

- أـنـاـ إـيطـالـيـ..
ـ بـدـتـ الـدـهـنـةـ عـلـيـهـاـ، فـسـارـعـ يـضـيفـ:
ـ مـنـ الشـمـالـ.. مـنـ مـنـطـقـةـ كـانـ جـزـءـاـ مـنـ أـرـاضـيـ الـنـسـاـ..
ـ العـدـيدـ مـنـ مـاـ يـرـالـ يـتـحدـثـ الـأـلـمـانـيـةـ..
ـ وـكـانـهـ تـذـكـرـ أـنـ لـمـ يـقـدـمـ لـهـاـ نـفـسـ فـعـسـ باـسـتـيـاءـ ثـمـ مـدـ يـدـهـ إـلـىـ جـيـبـهـ
ـ لـيـخـرـ بـطاـقـةـ عـلـمـ:
ـ زـارـاـكـوتـشـيـ.. فـيـدـلـ زـارـاـكـوتـشـيـ..
ـ فـيـ صـوـتـهـ تـلـمـعـ.. تـلـمـعـ مـاـذـ؟ أـعـتـراـزـ؟ أـسـتـغـرـابـ؟ أـبـتـوـعـ مـنـهـاـ أـنـ
ـ تـعـرـفـ إـلـىـ اـسـمـهـ؟
ـ هـ!

ـ وـضـعـتـ الـبـطاـقـةـ مـنـ يـدـهاـ بـدـونـ أـنـ تـنـظـرـ إـلـيـهـاـ.. فـيـدـلـ زـارـاـكـوتـشـيـ
ـ اـسـمـ مـنـاسـبـ لـهـ.. وـصـلـتـ الـقـهـوةـ، وـقـدـمـ لـهـاـ السـكـرـ.. أـخـذـتـ الـقـلـيلـ
ـ بـطـرـفـ مـلـعـقـتـهاـ.. مـاـنـوـعـ هـذـاـ رـجـلـ؟ أـهـوـ رـجـلـ أـعـمـالـ قـاسـيـ وـخـبـيـثـ؟
ـ هـذـاـ وـاضـعـ.. لـكـنـ مـاـذـاـ غـيرـ هـذـاـ؟ هـلـ اـنـتـهـ لـلـهـمـسـ الـذـيـ أـثـارـهـ حـيـنـ
ـ دـخـلـ الـمـكـانـ؟ بـدـاـ وـكـانـهـ لـمـ يـحـسـ بـهـ، أـمـ أـنـ تـصـرـفـهـ هـذـاـ إـبـاتـ إـلـىـ أـنـهـ
ـ يـسـكـ الـخـيـرـةـ الـكـافـيـةـ فـيـ إـخـفـاءـ مـشـاعـرـهـ؟

ـ ظـلـتـ أـورـسـوـلاـ تـحـرـكـ الـقـهـوةـ.. حـقـاـ، يـجـبـ الـأـنـ تـكـوـنـ هـنـاـ، فـهـوـ
ـ لـيـسـ مـنـ طـبـقـهـاـ.. فـكـرـتـ فـيـ مـنـ مـرـ فيـ حـيـاتـهـاـ مـنـ رـجـالـ. كـانـواـ
ـ جـيـعـهـمـ يـرـتـدـونـ الـجـيـزـ وـالـقـصـصـانـ. إـنـهـ بـعـدـ جـداـ عـنـ طـبـقـهـاـ. عـنـدـمـاـ مـدـ
ـ يـدـ إـلـىـ السـكـرـ، سـأـلـهـاـ عـنـ درـاستـهـاـ وـعـمـاـ تـأـمـلـ أـنـ تـحـقـقـ، وـوـجـدـتـ
ـ تـشـهـاـ تـبـشـرـ وـتـنـتـحـدـتـ عـلـىـ سـجـيـتـهـاـ. فـرـاحـ يـرـاقـبـهـاـ عـنـ كـثـبـ ثـمـ صـبـ
ـ يـطـعـ ثـلـاثـ مـلـاعـقـةـ مـنـ السـكـرـ فـيـ فـنـجـانـ قـهـوةـ. ثـلـاثـاـ؟

- قـلـتـ إـنـكـ تـرـيـدـيـنـ أـنـ تـزـيـنـ كـبـ الأـطـفالـ بـالـرـسـومـ..

- جـرـتـ أـورـسـوـلاـ تـفـكـيرـهـاـ إـلـىـ الـحـدـيـثـ مـجـدـاـ:

- مـاـذـاـ.. آـهـ.. أـجـلـ.. أـنـاـ.. فـيـ الـوـاقـعـ أـجـمـعـ مـلـقاـ.. إـنـاـ نـقـيمـ

عمارض في الكلية، ولقد بعث بعض الصور فعلاً.
 ارشف ثيوفون الساخنة المخلوقة: «أحسدك»
 بذا وجيه لبرهه غرباً... فقالت نهر نفسها سراً:
 - أنا لا أرغب في شيء آخر.
 ثم سألتها عن الصورة التي تسخنها، وووجدت نفسها تخبره عنها.
 - كم ستأخذ من وقتك؟
 - لا أدري... لم أقم بنسخ لوحة من قبل.
 - إذن، ستكوين هنا غداً.
 - يا إلهي... أجل... وفي الأسبوع القادم. وربما الشهر القادم.
 ثم أدركت ما يرمي إليه، فخفق قلبه لأن هذا الرجل الآتي يريد
 رؤيتها مجدداً.
 - إذن... هل تتناولين الغداء برفقتي غداً؟
 كانت عيناه هادئتين، ولكنها شعرت أن في لكته إغواء. عندما
 ترددت ارتفع حاجبه الأسود بسخرية ومرح:
 - لنأشغل وقتك كله. ساعة واحدة فقط ثم أعيدك إلى عملك.
 ضحكت أورسولا. إن ما تقوم به جنون فهو يتسلى فقط ما بين
 مواعدي عمل.
 قبلت دعوته بلاقة قائلة:
 - شكرألك... لكنني سأكون مرتدية ملابس العمل.
 - أنا واثق أني مع الوقت، ساحب رائحة... ال...
 وخاتمه الكلمة فأضافت عنه: «التربيتين».
 هز رأسه، ثم تراقصت عيونهما، فجأة شعرت بأنها تعرفه منذ زمن
 كما شعرت بأنها كانت تنتظر هذه اللحظة بالذات... كان هناك مزيج
 من التعاطف والإثارة العميق تحرّك أعماقه. فجأة، ارتبت، وأشباح
 هو بوجهه عنها. النقط الفاتورة وسددها. عندما كانا يهمنان بالنهوض

٢ - غداً سأكون وحدي

- تبدو سائحةً.

- هذا صحيح، وسأحاول إقناعك بأن تطوف في باريس. فلأت بدون شك تعرفين المدينة خيراً مني.

انسعت عيناه الخضراء:

- لا أستطيع. لقد وعدتني بأن لا تلهيّني.. قلت إنك ستعبدني فوراً إلى العمل.

تنهد، وعيناه حادتان.. يا الله، ما أشدّ زرقتهم:

- أجل.. وعدتك للأسف. إذن يجب أن أحاول إقناعك؟

لا.

أطرق رأسه: «حسناً جداً».

أحسست بخيبة أمل مقاجنة.. فسألتها:

- ماذا عن الغد.. إذن؟ الغد يوم الأربعاء، وأمامي أعمال كثيرة على إنجازها قبل يوم الجمعة.

تذكرت وقد هوئ قلبها أنه لن يبقى في باريس سوى ثلاثة أيام.

قالت: «لن تتجزّ شيئاً إذا تابعت التترّه».

لكته ابتسامه لنفسه ولم يقل شيئاً. التقطت أورسولا شوكتها ومررتها فوق قماش الطاولة الأبيض. وسرعان ما وصلت المقلبات:

قالت:

- أعتقد أنني قادرة على أخذ الاستراحة مدة ساعتين غداً.

برقت عيناً ثيدل.

- لماذا ليس اليوم كله؟ سذهب إلى أي مكان تختاره.. هنا..

أورسولا.

اشتدت لكته على اسمها، واضطررت للكبح الارتجاف.

- يوم واحد.. هذا كل ما أحتاجه. حتى.. أستريح من عملي.

أمامي برنامج كبير.

كان الغداء ناجحاً. خاطرت أورسولا وارندت نورة قطبية وببلوزة بيضاء قصيرة الأكمام. وقت الفطور بدأ الدهشة على الفتنيات ولكن أورسولا قالت إن الجبز يشعرها بالحر، وإنها وجدت أن ثوبها طويلاً هو الأفضل لها حالياً.

لم يمر الصباح بالسرعة السابقة، وكان أن أمضت بعضاً من الوقت نظر إلى ساعتها.. وأخيراً بلغت الساعة الواحدة، فخفق قلبها خاصة عندما سمعت وقع الأقدام المallowة:

الفتنت ل تستقبل ثيدل زاراكوتشي بابتسامة.. ولكنها لم تكن مستعدة للتغيير المدمر الذي طرأ على مظهره. لقد اختفت البذلة الرسمية، والحقيقة الجلدية، وحل محلها سروال بلون الشوفان، مفصل ببراعة ليظهر نحوه خصره وقوته ساقيه، أما القميص المفتوح البالقة فأحاط بكلتبه العريضتين وبصدره بطريقة عفوية أبرزت قوته.

ضحك أورسولا: «أتلعب الهوكي؟».

واضطررت إلى شرح معنى لعبة الهوكي. عندما وصلنا إلى المطعم قال لها:

- لست مضطراً للعمل طوال النهار.

خلعت أورسولا اليوم معطف العمل.. فلقد علمتها التجربة أنه يحب العفوية، والمظهر الجميل.

عادياً... تسأله أورسولا للمرة الأولى عما ي يريده رجل أعمال كبير من فتاة تكره مثليها؟

عندما أعطيه عنوانها، قال إنه سيمر بها باكراً في الصباح التالي... ثم استعدا لتناول وجبتهما... أدركت فيما كانت متوجة إلى بيها ذلك المساء أنها ما تزال تجهل مكان إقامته. ولكن هل تعرف عنه شيئاً أبداً؟

أهو متزوج؟... غير أن أورسولا لم ترحب في التفكير في هذا. في الصباح التالي صعدت إلى سيارته مبتسمة، فحدسها يقول لها إن هذا اليوم سيكون رائعاً.

وصدق حدسها، فقد مرّ اليوم السحري من خلال غيمة وردية... كان «الأندلسي» ينعم بحرارة الشمس. أوقف السيارة قرب المركب الصغير، ثم سارا في الشوارع الضيقة. كان فيدل يمسك يدها وهما يسلقان الطريق الوعر المنقضي إلى القلعة، ثم وقف قربها ويدعه تستريح على كتفها. راحا ينظران إلى تعرجات نهر السين الراوند، التي تحدها المساجد والصخور والمراقي المنبسطة. كانت مراكب النقل العريضة المتخضفة تجوب النهر صعوداً، ونزولاً.

في طريق العودة إلى الأستقل اشتري لها باقة من الورد ثم حمل سلة الطعام بحد ذاته على درجات المحرف الضيق حيث كانت المراكب الصغيرة تقف متراجحة تحت وهج الشمس... قادها بعيداً إلى مركب بخاري صغير أخذ يتلوى وهو يساعدها على نسلته، واضطررت إلى الجلوس بسرعة، فهي لا تحب المراكب.

لم يكن هناك آية نسمة. كان نهر السين أملس ونقيلاً غامضاً، وكانت أشعة الشمس البراقه تتناقض مع ظلال قائمة على جانبيه... شق المركب الصغير طريقه في عباب الماء، واسترخت أورسولا. حتى فاجأتهما عبارة بضائع ضخمة أرسلت موجات كبيرة جرفهما نحو

سألت وهي تضحك ضحكة شيطانية: «أي مكان أختاره؟»
- أي مكان

نظرت إليه مفكرة... أين يمكن أن يذهب رجل مثله طلباً للاسترخاء؟ هل يريد حقاً مشاهدة المناظر؟ ألم يكون الغداء في مطعم فاخر مناسب لعاداته وطباعه؟

قال: «أعرف مكاناً جميلاً على النهر... وهو بعيد من هنا... المناظر هناك جميلة... ولكن عليك التسلق... وهذا يعني أن علينا حمل طعامنا».

انتظرت ظهور الخيبة على وجهه، لكنه لم يفعل بل سأله:
- أين هو هذا المكان؟

- الأندلس.

- آه!

بدأوا للدهشة عارقاً بالمكان.
- أحسنت الأخبار.

ثم عبس وراح يحرك أيديه على يدها مداعياً... إن تابع هذه الحركة فستقع الشوكة من يدها... وكرر: «الأندلس... الأندلس الصغير؟».

هرت رأسها، فابتسما بابتسامة فعلت الأعاجيب في خطوط وجهه القاسية:

- لدى أحد أصدقائي مركب يرسو هناك... ربما ستتمكن من تناول طعامنا فوق النهر، سترسو في مكان ما؟ أو تسبح؟
أخيراً أعاد إليها يدها... واستخدمت الأخرى للتقط كأس العصير عليها تبلل ريقها الجاف وقالت: «ولكتني لست سباحة ماهره».

- إذن ستتناول الطعام فقط... فأنا لم أخر في نزهة منذ سنوات... وهذا ما ذكرها أنه لا يرتدي عادة سروالاً شوقياً اللون وقميصاً

تحركت بقلق بين يديه، تتجاوب مع تصاعد مشاعرها... آه...
هذا لا يحصل لها حفناً... كل هذا حلم... إنها غير مستلقية تحت
الأشجار، بين ذراعيِّ رجل رائع لم تشاهده من قبل ولكنه الرجل
الوحيد الذي رغبت فيه... لم يحدث لها شيء كهذا من قبل، أو ما
شيء... كانت تفرق في الحب... وتأوهت ثانية متسلكة بكثبه
العربيتين.

أطلق من مكان غير بعيد مركب ما صفتارين قصيرتين، ولم يكن
ذلك الصغير بعية مقاطعتهما فقد كانوا آمنين في مكانهما السري هذا على
حريرة الخضراء الباردة... لكن قيدل تأوه، ورفع رأسه على مضض.
صلب الوجه، جاد الملامح ثم راحت عيناه تتعقبان وجهها... فرأتا
البراءة، الإثارة والرغبة... والخوف؟

استعد عنها، ومد يده إلى سلة الطعام يصب لنفسه كوب عصير...
حققت أورسولا إلى ظهره العربيض... ماذا حدث؟ ما الخطأ الذي
حدثه؟ هو بكل تأكيد لا يعتقد أن زيان المركب شاهد هما؟

لثبتت جسمها إلى مرافقها ثم لامست كتفه فوضعت الكوب من يده
ـ كما بعض العصير على العشب... قال بصوت لطيف حازم:
ـ يجب أن نعود... الوقت متاخر أورسولا... عندي عشاء عمل...
كانت عيناه طوال الوقت مسررتين على حناب قدمها الشاب الفتني
ـ يا بنا.

صرت على أسنانها وعيست حائرة لأنها شعرت بأنها تعرضت
لحاجة وللبنة...
رفع لها ذقنها... وجعلتها إرادته الصلبية السحرية الخطيرة تنظر
ـ في عيـه:

ـ لا تغضي مني جميلتي... صدقيني... ليس الوقت مناسباً
الوقت؟ وهل لديهما وقت آخر؟ غداً الخميس وهو سيعاشر باريس

الشقة... اعتبر مركبها، فاضطررت إلى التمسك بأطراف المركب بشدة
حتى لا يقتت عقده أصابعها.
لعن قيدل العبارة، ووجه المركب نحو الأمواج، فأحسست
أورسولا عندها بالراحة... قال لها: ستتجه نحو الجزيرة... انفقتا؟
جلس تحت ظل شجرة... كانت الشمس تتسلل إليهما من بين
الأغصان... بعدما تناولوا الطعام جلا ليشمسا... خلع قيدل قميصه،
وانزرت أورسولا بخجل فستانها وبقيت بثوب السباحة الذي ارتديه
سلفاً... كانت تحس بالسعادة، فما زاد عن يكون المرء محاطاً بالماء
ومعزولاً عن الدنيا... تباطلت بضماتها وأصبح خفقات قلبها ثقيلاً...
معزولة عن الدنيا مع رجل يبدو... نظرت إليه... رجل يبدو بهيج
المظهر، رجل يجعل جسمها كله يستجيب بطريقة لم تعرف لها
مثيلاً... أي يمكن أن يقع المرء في حب شخص لأنه يضع ثلاث ملاعق
سكر في فنجان القهوة؟ استلقت على بطئها وأمسكت بالسائل الباقي
من أشعة الشمس طالبة منه بكل جرأة أن بذلك لها ظهرها به...
تردد... وظل للحظات ساكناً فغاص قلبها... ثم ذات عيناه
ونتناول منها السائل فعادت تستيقن خاقفة القلب، مغمضة العينين،
تجبر نفسها على الاسترخاء.

كان التدليك عنيناً لها... فسرعان ما ارتفعت حرارة السائل
البارد، تحت راحتيه... كان حازماً، كرجل أعمال... وقال متمتماً:
ـ إن هذا المغر وواعد بالسعادة...
وكانت كلماه آخر المخدرات التي تحتاجها...
استلقت على ظهرها بيظه فأخذت عيناه الزرقاوان الثاقبان تطرفان
بطول جسدتها الناعم المنحنى...
همست بتعومها عندما شاهدت شرارات الخط تتطاير من عيـه...
ومدت يدها تلامس وجهه: «قـيدل، عـانقـينـي».

في اليوم التالي
وكانه قرأ ما تذكر فيه فابتسم، ثم لثم جيبيها.. وقال هامساً في
شعرها:

لدينا وقت العالم كله.
لم تقاوم فترنحا وشعر بالدفء والامتعاج، والثقة المتبادلة
بالمشاركة.
أعتقد هذا.

وعاد وجهها إلى صدره لا إرادياً.. وكانتها تود أن تضع الختم على
اتفاق ثمين يدوم مدى الحياة.
وهكذا ظل اليوم وردياً حتى وهما يحرمان كل شيء فوق المركب
الصغير. جلست أورسولا في المركب الصغير مغمضة العينين نصف
إغماضه بحيث لم تعد ترى سوى النور والظلال والعتمة والحركة،
وأشعة الشمس المنتشرة فوق البقاع.

كادت الساعة تبلغ السابعة عندما توقفا أخيراً أمام شقتها. لثم فيدل
خدماً، ثم ضحك حين احمر وجهها، وهمس: «أغدا».
هزت رأسها، فاردف أنه آتٍ غداً في الثامنة. لدينا وقت العالم
كله.. هكذا قال.. إنه يحبها.. بالطبع يحبها.

كانت الشقة فارغة، فشعرت بالسرور. أدارت الراديو وغنت مع
أغنية شعبية.. كان كل شيء حلماً تيره الشمس.. إنه أفضل أيام
حياتها.. وفيما هي تهم بالدخول إلى المطبخ شاهدت رسالة على
اللوح، وكاد قلبها يتوقف.

تقول الرسالة: إيماء في باريس.. اتصلي بها فوراً.. وتحت
الرسالة عنوان فندق أنيق، ورقم غرفة.
إيماء هنا.. في باريس.. لماذا؟

ردت إيماء بطريقتها المعتادة على طرف الهاتف الآخر:

أورسولا.. أين كنت طوال النهار؟ حاولت الاتصال بك!
كنت خارجاً. ماذا جرى؟ حاولت الاتصال بك في لندن.
تعالي إلى هنا وأسألك بما جرى.
تهدد أورسولا: «الآن؟»
الوقت الآن متاخر.. فلنكن زيارتك غداً في الخامسة بعد
ظهر.

وأقتل الخط.. ولكنها كانت مسورة في اليوم التالي.
يا إلهي! تبدين رهيبة..! ماذا دهاك لتأتي بهذا الجبز القذر.
إنه عايب برائحة التربتين!
جئت مباشرة من اللوفر.. كنت أرسم طوال اليوم.
حسناً.. على هذا كله أن يتوقف..
تناولت إيماء تريمان سيكارا.. كانتا في شقتها الخاصة، ولم تكن
أورسولا تعرف أن لديها المال الكافي لمثل هذا الترف المبالغ.
ماذا تقصددين بقولك؟ أتوقف عن الرسم؟ هذا مستحيل..
تسارع عما قريب رسامة كتب للأطفال.
كوني ماشت.. إنما لن يكون هناك كلية فنون بعد الآن كما لن
تكون لك باريس.. ما أقوله أورسولا عزيزتي، هو أنا لا نملك المال..
لا أفهمك..

ولا يدهشني هذا.. أليست صدمة؟
سحبت زوجة أبيها نفساً عميقاً من سيكارتها، فاتجهت عيناً
أورسولا إلى فخامة هذا الجنان. لاحظت إيماء أين تتجه أفكار
أورسولا، فانفرجت شفتاها الحمراءان عن ضحكة قاسية:
لا تظني أن لهذا كله علاقة بي.. أنا أقيم هنا مع صديقة قديمة،
وهي تدفع النفقات كلها. نحن نقوم بجولة في أوروبا.. إنها امرأة
ثانية.. ألم أحدثك قط عن كلير كاندليف؟

كل شيء، بعث الشركة، أو ما تبقى منها، وبعث البيت والسياراتين.

- لا يمكن ذلك!

- بلى.. يمكنني.. لقد ذهب كل شيء.. وليس فيها ما كان يمكن أن يفينا.. وقد تمكنت بما بعنه من شراء شقة.

لا.. بيها.. المكان الذي ترعرعت فيه.. لم يختف، هكذا يلحظ بصر؟ ماذا عن أناثها المفضل؟ آه.. بل ماذا عن لوحات أنها؟ سألت مشدودة: «أين؟»

- إنها شقة في «إيسلتون» لك فيها غرفة، لا تقولي إنني لم أقم يوماً.. فرأيت الوصبة بإيمان كما تعرفين.. وقد نصت أنه سيُؤول إلى كل شيء ما دمت أؤمن لك مسكنًا.. هه! وباله من مسكن! وباله من سرات!

شبح وجه أورسولا: «وماذا عن أغراضي الخاصة؟»

- إنها أغراضي أنا.. بعث جميع التحف التي لا تحتاج إليها، وما يشير إليها في صفيحة الزبالة.

كادت أورسولا تتحجب: «واللوحات؟»

- جاء ممسار، اشتراها كلها بثمانين جنيهاً لأنها لوحات عديمة القيمة.

وقف أورسولا مصدومة.. لقد ولّ آخر رباط هش لها مع أنها التي لم تعرفها قط.. لم تكن اللوحات بذات قيمة مادية لأنها ليست سوى تجارب فنانة متبدلة.. استدارت، وعيناها مغروقة تان بالدموع.. ولكنها قالت شيئاً:

- لن أعود إلى لندن.. لقد بنيت صداقات هنا، وإذا لم أستطع تأمين نفقات الكلية سعيت إلى العمل.

- بسراحه أورسولا لا يهمني إلى أين تذهبين.. فلو عدت إلى حسناً.. قررت أن يكون لي ركود اقتصادي خاص.. لقد بعد لسن لاضطررت إلى مشاركة برودي الشقة.. أذكرنيه؟ تعرفت إليه

وافت بقلق لطفىء السيكارا:

- والآن جاء دورى.. اعتقد والدك أنتى بلهاء، أورسولا.. لكنى لن أندفع مرتين.

ردت أورسولا: «لا تحذر عن أبي بهذه الطريقة؟»

أصبحت علينا إيماشيريتين.. إذن حان الوقت لتكشفى وضع (دادي) العزيز) الثمين.. كان عظيمًا.. أليس كذلك؟ مثل الرجل الرائع

ولكن هل عرفت أن مؤسسة الهمدنة التي كان يملكها كانت تخسر من عشر سنوات؟

اتسعت علينا أورسولا دهشة: «لا..!»

- بلى..! والمنزل الكبير في «سوراي» مرهون.. كان غارقاً في الديون حتى هنا

وأشارت يدها إلى أنها، فشهقت أورسولا: «لا أصدقك..»

هزت إيماشيريتها:

- ولماذا تصدقين؟ أنا نفسي لم أصدق.. صدقيني! آه.. كانت المظاهر المحدقة به خداعاً، أبنة تدرس دراسة خاصة وفي كلية الفنون في باريس وسيارات فخمة.. وعظلات، ولكنه كان فاشلاً عظيماً في عالم التجارة.. إن أصبعي هذه تملك عقلًا أكبر من عقله..

تقدمت أورسولا إلى زوجة أبيها، تحدق إليها بغضب:

- توقفي عن هذا! كانت السيارات والعلطات لأن هذا ما كنت تريدينه أنت.. لم يكن الأمر هكذا من قبل.. كم شركة تحطمت في

السنوات الأخيرة بسبب الركود الاقتصادي!

تابعت إيماشيريت بقوله، وليس على خطوط وجهها القاس المتجمدة أثر للشققة، وقالت بفؤم:

- حسناً.. قررت أن يكون لي ركود اقتصادي خاص.. لقد بعد لسن لاضطررت إلى مشاركة برودي الشقة.. أذكرنيه؟ تعرفت إليه

خسرت اللوحات التي كانت صلة الوصل الوحيدة مع أمها.
كانت الشقة تقع بالناس فشعرت أورسولا بأنها بحاجة إلى مكان
هادئ... الحمام في فوضى، ولكنها استجمعت وغسلت شعرها،
بحركات بطيئة آلية. تحاول أن تشعر بالحماسة استعداداً لهذه الليلة
التي ستكون ليلتها الأخيرة مع قيدل.

ون جرس الهاتف، وكان المتكلم قيدل الذي قال إنه سيتأخر
يسbib اجتماع ثم سألهما إن كان من الممكن إرسال سيارة تقلها إليه في
الثانية؟

ابتسمت لنفسها يقلق: «طبعاً».

- هل أنت بخير أورسولا؟

- نعم بخير... لكن الشقة تقع بالساهرين.
ويبدو أنه ردة سبب حزنها إلى حياتها ولكن ماذا يهمه حقاً؟ إن
علاقتهما مجرد لعبة بالنسبة له فرعان ما سيتعذر عنها.

ارتندت فستانها وتبرجت وعندما دقت الساعة نعلن أنها تمام الثامنة
نظرت إلى صورتها في المرأة فاعترفت: ليس مظهري سيئاً. كان
اللسان الناعم المنسدل يبرز لون بشرتها التي لوحظها الشمس،
ويحاكي لون عينيها الأخضر. ثم أدركت أنها لا ترغب في صعود
السائق إلى هنا. فهي ترفض أن تظرن الفتيات... تظن ماذا؟ أنها وجدت
ل نفسها رائعاً عجوراً ثرياً! أمسكت حقيبتها وهرعت إلى الأسفل، وكان
من حسن حظها أن الثقة بالسائق وهو صاعد إلى الشقة، كان قصيراً،
ستديراً.

السيارة على ما يبدو ملك للمؤسسة التي يعمل فيها قيدل، فهي
ليوزرين. ركبت السيارة التي راحت تجذب الشوارع الفرعية المهجورة
ثم وصلت إلى شارع تكتظ فيه البناء الشاهقة ولكن لم تلبث أن
توقفت السيارة في شارع جانبي ضيق أمام بناء جبار. ترجلت من

لتحت إلى لندن في العيالد الماضي؟ إنه للبيه ولكنه سفل. وانت
لست من الطراز الذي يعجبه على أي حال. ولكن، بما التي لن تكون
برحوبة طوال الصيف، فقد يفتك قليلاً. حال وقت النضوج
أورسولا وقت التعرف إلى هذا العالم القاسي الذي عليك مقاولته
لتحت... اساحت أورسولا إلى مالديها من تصميم وعزم لثلاثة تجحب لهذا
البعض البعض.

سلطان غراضي الأخرى...؟ ملابسي كتبى ورسوستي؟

ارتدت إياها بلا اكتراث.

- عذر بروحي كومة كبيرة من أشياء عدبية ثقيلة من غرفتك،
ووصلها إلى الشقة. قلت لك إنه طيب القلب. ربما لو تعلقت هناك
قللاً.

اسمر... قلت لك إيني كنت أرسم طوال اليوم
- اطلع... حسناً، عودي إلى حيث تريدين. أحتج إلى الراحة قبل
الغروب هذا الليل. ستمعد كلير بعد دقائق، ولا أشكها ترضي أن تعقد
رائحة القرفة بالطلاء.

- صحيح... لا تقلقي... أنا ذاهبة.
لتحت حل الوقت فعلاً. وأحسنت أورسولا بالحرمان... كانت إيمان
كل ما تذهب من عائلة
لتحت زوجة ليها مجلة، وقعدت على كرسي قرب النافذة
لتحت... على بكررة... بقى هنا حتى نهاية الأسبوع... أعلم بي بقرارك.

فإن قررت العودة إلى لندن فعلني أن أحذر بروحي المskin
عانت أورسولا إلى الشقة سيراً... تحس بالدور. لقد قدمت كل
شيء... والبعض... المثلج وأغراضها الحميمة والأنكى من هذا كله أنها

العصير . وبدا أنه لا يزيد أن يتحدث عما هو ممل كحدث الشقة .
وقف بعها قرب حاجز الشرفة ينظر إلى سطوح الأبنية المحيطة
والي النهر المنبع من بعيد :

- فكرت في الخروج للعشاء في مكان مميز .

شاهدت من مكانها برج إيفل الذي يلفه الضباب من حرارة ورطوبة
النهار ، ودخان السيارات .. لمس ذراعها العارية بأصابع خفيفة .. ثم
همس وأنفاسه دائنة في شعرها ، وأذنها :

- اشتقت إليك .. تميّت طوال النهار لو كان اليوم كيوم أمس ..
لم أرغب في البقاء بين جدران غرفة اجتماعات .. بل أردت أن أكون
معك ..

أغمضت أورسولا عينيها واستندت إلى جسده الصلب وكتت
أنفاسها .

- جميلة .. جميلة .. أتشعرين بما أشعر أورسولا؟ قولي لي إن
هذا ليس من وحي الخيال ..

آه .. كيف .. كيف ستعيش بعدما يرحل عنك؟ تصاعدت مشاعرها
ولكيها حاولت كبحها وفشل في ذلك ..
أمك رأسها بين يديه ، وراحت أصابعه تلامس وجهها فقد لاحظ
تساقط أولى قطرات دموعها ..

- أورسولا .. صغيرتي .. ما بالك؟ لم استيقنك؟
انسلت من بين يديه غاضبة من نفسها بسبب ظهورها بمظهر الطفلة
الصادقة أيامه وهو المعقاد على النساء الخبريات مثله ، وقالت:

- تستخدم ألفاظاً ألمانية كثيراً

- صحيح؟ نحن نتكلّم في الوطن اللغة الإلمانية والإيطالية ولكن
فعلاً كثيرة ..

واحتجواها بين ذراعيه ، فاهتزت كتفاها بتحبب صامت :

الزيارة فأسرع السائق يفتح باباً ضخماً محفوراً ، وأدخلها بسرعة إلى
ردهة صغيرة مكسوة الجدران بالخشب المصقول .
قال السائق باللغة الإنكليزية :

- مسيو زاراكوتشي فوق .

ووجدت أورسولا نفسها تصدع إلى فوق بسرعة حامنة .. ما هذا
المكان بحق الله؟

ما إن انفتح باب المصعد حتى كان قيدل يانتظارها ، كان شعره
مبللاً وكأنه أسرع لتوه من الحمام . أمسك يدها بثديها بحنان . أمسك
أورسولا أنفاسها ، فلم يسبق أن لثم يدها أحداً !
- أورسولا .. حبيتي .. أنا أسف على كل هذا .. لقد مضيت
نهارياً كله في «روان». إن تلك المجتمعات لا تنتهي أبداً .. ادخلني ..
لتناول المثلجات .

اقتادها من ردهة الاستقبال الأنيقة إلى مكان متنهل هو أفضل ما
يمكن أن يسمى غرفة جلوس . وكانت على مستوىين .. جزء منها
للجلوس وهو مكسو بسجاد أبيض . ثم هناك درجتان متخفضتان
تفضيان إلى مائدة طعام زجاجية ذاتية . رأت نباتات خضراء في كل
مكان وهي بلوتها الأخضر تتناقض مع المقاعد الجلدية البيضاء ومع
طاولة التهوية الزجاجية «الكريوم» .. إنه مكان أنيق ولكن طابعه رجولي
والمسير فيه نسخة من لوحة «الموندريليان» معلقة فوق المدفأة .. لكن ما
كان أجمل من هذا كله الأبواب الزجاجية التي تصل الأرض بالسفف .
اقتادها قيدل إلى الخارج ، حيث تقع حديقة ومسجد صغير .

- لا أصدق هذا .. إنه جميل!

بداراضياً ودهشاً من حماستها ، وأكملت تسأل:

- أهي شقة تابعة للشركة؟

هز رأسه إيجاباً .. ثم تركها لحظات ليعود وبيده كوبين من

أخبرني!

- لا أستطيع.

- بل تستطعين.

قادها إلى أريكة هي عبارة عن أرجوحة نطللها ستارة ملونة وجلسا
بتأنجحان بطف.

أخبرته بكل شيء، أخبرته عن المنزل الذي بيع وعن مسألة التوقف
عن كلية الفنون ثم أخبرته بصوت كثير عن لوحات أمها التي لن تراها
تابية. عندما كانت تتحدث راحت يده تملئ شعرها أما أنفاسه فكانت
عميقة، بطيئة، وكأنه يفرض الهدوء على نفسه.. تركها تكفي قدر ما
شاء. ولكنها لم تستطع أن تقول له إن نصف دموعها المتهمرة كانت
بيء لأنها بعد ذلك تكون وحيدة.

دققت أجراس الكنائس حولهما. دقت تسع دقائق.. ثم استمرت
ربع ساعة ونصف ساعة.. وأخيراً، ساد الهدوء.. وأرادت أورسولا
أن تمتد هذه اللحظات إلى الأبد.. لكن ثيدل أخيراً، تحرك إلى
جانبها، فاستوت جالسة، ترجم خصلات شعرها الأشقر إلى الوراء
وهي لا تعرف ماذا تقول.

مرر إصبعه بخفة على وجهها: «أما زلت راغبة في الخروج؟»^{١٤}
يا الله.. العشاء.. إنه بدون شك يتضور جوعاً.. ولكنها لم
تكن قادرة على مواجهة مطعم أنيق، قالت تنظر إلى منديلها:
ـ أفضل البقاء هنا.

سللت أصابعه إلى ذقنها، برفع وجهها. عكست العينان
الحضار وآن المعتبران صورة أحدهما فتجهم وجهه، ثم لأن:

ـ ربما هذا قرار غير حكيم يا صغيرتي.

فجأة أحست أنها لا ت يريد أن تكون حكيمة، فقالت:

ـ لا أستطيع مواجهة الناس.

ولم تكن تعرف ماذا كان يفعل الانكسار في صوتها به
نضر عرق في خده، ورفعت يدها تهدئه.. فابتسם آه.. يا لها
من ابتسامة.. ثم همس: «أتصل بالمطعم لأنفي الحجر».

* * *

- ومن الضروري البقاء في باريس؟ هل هناك أستاذ معين، ربما؟
ابنسمت أورسولا له، بشرتها الناعمة التي لوحتها الشمس تكاد تكون شفافة أمام نور مصباح الطاولة.. وقالت:
- إن الحياة في باريس تكلف كثيراً، ومن الأفضل أن آدرس في لندن

- ولكنك لا ترغبين في العودة إلى شقة زوجة أبيك؟
- آه!

ساد صمت متواتر. ثم لم يلبث أن اقترح قيدل تناول التهوة على الشرفة. وفي هذه المرة، لم يضع سوى ملعقة سكر واحدة في فنجانه.. غريب!
كان الظلام في الخارج قد أسدل ستارته السوداء الحالكة التي لن تدوم سوى ساعات قصيرة في مثل هذا الوقت من السنة. كانت أنوار المدينة تحتمها تللاً وكأنها سجادة من الأضواء. وقفا يحتسبان التهوة بصمت يراقبان المنظر.. ثم جلسَا على الأرجوحة المزدوجة المقعد.

أخذ يتلاعب بأناملها بطف، ويرفعها إلى شفتيه.
أغمضت أورسولا عينها، تحس بألم داخلي.. أرادت أن يعانقها بشكل ملائم.. إنها بحاجة ياشة إلى حبه. فليس أحدهما سوى ساعات قليلات. لم يقل شيئاً عن رؤيتها مرة ثانية.. في الواقع، بدا وكأنه يختفي داخل نفسه.. هل ندم على اصطداحها إلى هنا؟ هل وجد أنه لا يرغب في التورط؟ تأرجحت بهما الأرجوحة بطف متزامنة مع دقات الحياة النابضة في أعماقها.. بدأت الساعات حولهما تعلن عن منتصف الليل، فحبست أورسولا أنفاسها. لقد بدأ يوم الجمعة.

قال قيدل بهدوء:
- عشت يوماً كيماً ضاغطاً وأنت بدون شك متعبة.. يجب أن أعيدك إلى منزلك.

٣ - أبقى معي!

تلذّلات المدينة الرمادية الناعمة بالأنوار تقدمت أورسولا إلى حاجز الشرفة، وهي تسمع فرنسيّة قيدل الرائعة وهو يتحدث على الهاتف. إنه رجل كامل حقاً، وهو بدون شك يملك مركزاً هاماً في الشركة وإنما سمح له باستخدام هذه الشقة..
سألها عندما عاد إلى الشرفة ووقف قريباً:
- أستطيعين تناول الطعام الآن؟ ولكنه سيكون طعاماً خفيفاً ب ايضاً مقلياً؟

هزت رأسها إيجاباً يد أنها لم تستطع الجلوس في الخارج بعيدة عنه.. دقت الساعة العاشرة. ساعتان قصيران تقضيانها عن يوم الجمعة..
وعكذا أعد الطعام مما هو موجود في البراد.. وامتلأت طاولة الطعام بالسلطة والجبين، والفاكهة، والبيض المقللي السميك. تناولا الطعام بهدوء.

سألها وهو يقطع خوخة:
- من الضروري أن تذهب إلى كلية الفنون؟
- لا أريد ذلك من أجل الوظيفة بل من أجل تنمية موهبتي.. والبرد أجمل قطعاً ولكنني أستطيع الدراسة بشكل جزئي وسيكون ذلك سيراً في إطار مدة الدراسة ليس إلا.

قيدل، إلى الأبد.. أحنى رأسه يعانقها، وتمتم على شعرها:
 - أنا في الثالثة والثلاثين.. الفرق بسنا كبير.
 - أتقول إبني صغيرة؟
 - لا بل أنا أكبر منك بكثير..

 مررت يدها على صدره، فشعرت بقلبه يخفق محاكيًا قلبها..
 شعرت بالصدمة لأنّه متاثر عاطفياً.. وهذا ما أعطاها الشجاعة لتنقول،
 شيء من الإغراء:
 - علىَّ أن أحكم إذ كنت كبيراً أم لا، وفي الواقع لا أظنك كبيراً
 أبداً..

 أمسك يدها ورفعها إلى فمه: «الآن تظنين هذا؟ حقاً؟»
 ثم احتوتها ذراعاه وتمتمت شفتها بلطف وهما متعانقان:
 - لقد أردتك كثيراً.. أورسولا.. لكنني الآن.. الآن..
 وتلفظ بكلمات ألمانية لم تستطع فهمها، ثم أبعدها قليلاً عنه،
 متهدأً تنهيدة عميقية، سألها وهو يمسد شعرها:
 - أتريدين البقاء هنا؟

 همست تخفي وجهها في كتفه: «أجل أرجوك».
 - أتعرفين ماذَا سيعحدث إن بقيت هنا؟
 هزت رأسها إيجاباً..
 - قوليهما لي..
 - أجل ثيدل.. أنا واثقة أنتي أريد قضاء الليل معك..

 ضمها بشغف إليه ثم راح يعانقها ويُعْانقها بحرع وهمام ولكنه لم
 بلبس أن تراجع عنها قائلًا: لا، يجب ألا يحدث ذلك..
 ثم ابتعد عنها قائلًا: «أورسولا نامي هنا الليلة ولكن لا تتوتّعي مني
 شيئاً فانا لا أستطيع القضاء على طهارتك»..
 وحملها بين ذراعيه إلى الداخل.

لم ترد.. ولكنها أدارت رأسها تنظر إليه، بعينين متسائتين:
 - أورسولا.. صغيرتي.. لا انظري إلى هكذا.. أنا أحاول..
 ارتفعت يده تلامس خدها.. فهمست:
 - لا أريدذهاب..
 - ولا أريد أنا أيضاً أن تذهب..
 - حسن.. إذن؟
 - نحن بحاجة إلى الكلام.. لم تناقش شيئاً حتى الآن كما أنت لا
 تعرفين شيئاً عنّي..

 سألت بصوت ضعيف: «هل أنت متزوج؟»
 بدا وكأنَّ السؤال أدهشه وسلامه في آن واحد..
 - لا.. أورسولا.. لا.. لست متزوجاً.. أليس الأمر عجيباً؟
 أجل.. فكيف استطاع الهرب من حال العديدات.. فجأة غلى
 قلبها فرحاً..
 أردف يقول: «لكن.. انظري إلى.. كم عمرك؟ واحد وعشرين؟
 اثنان وعشرون؟»..

 همست، تنظر إليه بسرعة:
 - تسعه عشر.
 شاهدته يغمض عينيه رعايا فأردفت: «لكنني سأبلغ العشرين بعد
 أربعين»..
 آه..

 فتح عينيه ثانية، وعلى شفتيه طيف ابتسامة..
 - وهل لهذا فرق؟

 إنه يضحك منها، وأحسست بالارتباك.. بدأت الساعات تعلن أنها
 الثانية عشرة والرابع، إنها فعلاً ساعات غير متامة.. فهي تزيد من كل
 ساعات العالم أن توقف.. تريد أن تبقى هنا، على هذه الحديقة، مع

- لماذا؟ تخى أن أطلب منك بعد ذلك الزواج؟ نحن في القرن العشرين وأنا راشدة.

- ماذا تقصدين؟

- لا أريد أن نظن أنني أتوقع.

- توقعين مني أن أطلب منك الزواج؟

- أجل.. أترى.. لست بحاجة إلى هذا حتى وإن حدث بيـتـي؟

- بل هناك حاجة ملحة لأنـي أريد فعلاً الزواج بك ورغبةـيـ هذه بدأت منذ الأسبوع الماضي. أنت أجمل من «المونانـيزـ». هل تحبـينـي؟

ـ شـفـقـتـ، وأـطـرـقـتـ الرـأـسـ مـغـرـرـقـةـ العـيـنـيـنـ بالـدـمـوعـ فـضـمـهـاـ إـلـيـهـ.

- وهـلـ الزـوـاجـ يـبـيـ سـيـءـ إـلـيـ هـذـاـ الحـدـ؟

- سـخـيفـ!

- إذـنـ.. اـبـتـسـمـيـ لـيـ.. هـذـاـ يـكـفـيـ.. نـامـيـ الآـنـ وـغـداـ لـكـ حـادـثـ حـدـيثـ.

ـ اـسـبـقـتـ فـيـ الصـبـاحـ التـالـيـ نـظـرـ إـلـيـ ماـ جـوـلـهـاـ بـدـهـشـةـ وـلـكـنـهاـ لمـ تـلـبـثـ أـنـ تـذـكـرـتـ ماـ حـدـثـ الـبـارـحةـ. نـهـضـتـ مـنـ الفـراـشـ وـأـسـرـعـتـ تـرـتـديـ مـلـابـسـهـاـ، ثـمـ تـوـجـهـتـ إـلـيـ غـرـفـةـ الطـعـامـ فـوـجـدـتـ الطـعـامـ جـاهـزاـ وـيـبـدوـ أـنـ قـبـيلـ قدـ أـكـلـ حـصـتـهـ. جـلـسـتـ إـلـيـ المـائـدـةـ تـنـاـولـ الطـعـامـ ثـمـ لـمـ آـنـهـتـ وـجـتـهـاـ قـصـدـتـ غـرـفـةـ الـجـلوـسـ وـهـنـاكـ لـفـتـ اـتـبـاهـهـاـ مـنـ جـدـيدـ اللـوـحةـ إـنـهـاـ فـعـلـاـ تـحـبـ فـنـ «ـمـونـدـرـاـيـانـ». وـهـذـهـ فـعـلـاـ نـسـخـةـ رـائـعـةـ. وـلـكـنـ عـنـدـمـاـ اـقـرـبـتـ مـنـهـاـ أـدـرـكـتـ مـجـفـلـةـ أـنـ اللـوـحةـ أـصـلـيـةـ! لـاـ! وـلـكـنـهاـ أـصـلـيـةـ! دـخـلـ قـبـيلـ إـلـيـ الغـرـفـةـ، فـرـآـهـاـ مـهـمـةـ بـالـلـوـحةـ.

ـ قـالتـ لـهـ بـعـيـنـيـنـ مـتـعـبـيـنـ عـجـباـ: «ـإـنـهـاـ أـصـلـيـةـ».

ـ ضـحـكـ: «ـإـنـهـاـ إـحـدىـ نـقـاطـ ضـعـفيـ».

- ولكنـهاـ تـساـويـ..
ـ رـدـ يـهـدوـهـ جـادـ وـراحـ يـرـاقـبـهاـ مـفـكـرـاـ: «ـأـعـتـقـدـ هـذـاـ سـجـبـتـ نـفـسـاـ عـمـيقـاـ».

- أـخـبـرـنـيـ بـالـضـبـطـ لـمـ تـعـمـلـ؟ وـمـاـ هوـ نـوعـ هـذـهـ الشـرـكـةـ التـيـ يـمـكـنـهاـ شـرـاءـ دـيـكـورـ فـاخـرـ كـهـذاـ؟ مـاـ هوـ هـذـاـ المـكـانـ بـالـضـبـطـ؟ مـنـ «ـأـنـتـ»ـ قـبـيلـ؟

- أناـ.. مـصـرـفيـ.

- آـهـ.. تـعـنـيـ أـنـكـ تـعـمـلـ بـالـمـالـ، هـذـاـ يـقـسـرـ الـكـثـيرـ ضـحـكـاـ مـعـاـ، وـقـالـ جـادـاـ: «ـلـيـسـ الـأـمـرـ هـكـذاـ».

ـ تـنـهـدـتـ: «ـلـاـ أـعـتـقـدـ أـنـ هـكـذاـ».

- أناـ أـعـمـلـ جـاهـداـ.

- أـجلـ.

- جـاهـداـ إـلـيـ درـجـةـ اـضـطـارـيـ إـلـيـ مـغـادـرـةـ بـارـيسـ بـعـدـ الـظـهـرـ.. وـلاـ سـيـلـ لـلـهـرـ بـمـنـ السـفـرـ حـبـيـتـيـ.

ـ نـظـرـتـ إـلـيـهـ مـنـ بـيـنـ أـهـدـابـهـاـ: «ـأـعـرـفـ».

ـ مـدـ يـدـهـ إـلـيـ جـيـبـ سـتـرـتـهـ، وـأـخـرـجـ وـرـقـةـ.

- يـحـبـ أـنـ أـكـونـ فـيـ بـرـوكـسـ.. هـذـاـ رـقـمـ هـاتـفـيـ هـنـاكـ، ثـمـ هـذـاـ رـقـمـيـ فـيـ لـندـنـ.

- وـهـذـاـ رـقـمـ رـومـاـ عـلـىـ مـاـ أـظـنـ.

- صـحـيحـ.

ـ دـنـاـ مـنـهـاـ يـضـمـهـاـ مـجـدـداـ، وـأـصـابـعـهـ تـبـعـتـ بـشـعـرـهـاـ، ثـمـ هـمـسـ:

- أـحـبـكـ.. وـأـتـنـيـ لـكـ يـوـمـاـ رـائـعاـ.

ـ دـفـتـ رـأسـهـاـ فـيـ قـبـصـهـ الأـزـرـقـ وـرـدـتـ هـامـسـةـ أـيـضاـ: «ـوـهـذـاـ مـاـ أـتـنـاهـ لـكـ أـيـضاـ».

ـ أـبـعـدـهـاـ عـنـهـ بـحـزمـ.

- سـأـتـصلـ بـكـ يـوـمـاـ. سـأـغـبـ أـسـبـوـعـاـ أوـ عـشـرـةـ أـيـامـ وـبـعـدـ ذـلـكـ

سكنون معاً

ثم، وكأنه تذكر شيئاً، فأخرج محفظته: «سأترك لك بعض

المال».

ارتدت إلى الوراء، وقد راعتها الفكرة: «لا».

لذلك قلت إن إيماء حبس عنك المال.. ستحاججين إلى المال

حيستي.

ـ لا.. لا.. أنا بخير.. على ما يرام.. حفأ! لدى بعض

المدخرات، والشقة مدفوع إيجارها عدة أسابيع أخرى.

قرر ثيدل إلا يلح عليها.. ثم فجأة فرع جرس الباب وكانت السيارة

قد وصلت لنقله إلى مكان الاجتماع في «روان».. عانقتها بسرعة، ثم

تمت شبناً بالألمانية..

احست بالخجل وهي ترتدي ثوب سهرة في التاسعة صباحاً.

خاصة وأنه السائق نفسه الذي أفلأها ليلة أمس.. ولكن وجهه لم يتحرك

وهما يخطوان من المصعد في الطابق الأرضي، وقال ثيدل بالفرنسية:

ـ أود أن أقدم لك السيدة زarakوتشي العبيدة.

ارتجفت يداً أورسولا، وتلقت التهنة من السائق.. وظل ثيدل

ينظر إليها بغير.. في تلك اللحظات أحست أنها قريبة منه ولم تكن

قادرة على الانتظار لتخبر العالم كله!

ضحك إيماء تريمان بصوت حادٍ:

ـ تزوجين؟ أنت؟ هذا أمر مفاجئ.. قليلاً عزيزتي أورسولا..؟

ـ أعتقد هذا.

مضى عليها يومان قبل أن تجمع ما لديها من شجاعة لتعود إلى

الفندق.

- ـ متذ متي تعرفيته؟
ـ متذ وقت غير بعد.
ـ أنتظينه ينوي الخبر؟
ـ تاجر وجه أورسولا: «ماذا تعنين بكلامك؟»
ـ أيصال نفسه قد وجد وريثة غنية، أرسلها «دادي» إلى كلبة الفنون
في باريس، لستمعن قليلاً؟
ـ كانت أورسولا ترسم طوال اليوم في اللوفر وهو هي ما تزال
بالجيزة نفسه فقالت: «آبلدو وريثة؟»
ـ سحبت إيماء أنفاساً عميقاً من سبكارتها، وجلست في مقعد.. ثم
قالت أورسولا:
ـ ظننتك ستكونين راضية.. أقصد أنت بذلك تتحررين من
مسؤوليتك تجاهي..
ـ أنا غير مسؤولة عنك سواء تزوجت أم بقيت عزياء.. ألم أوضح
ذلك؟
ـ أوضحتك كل الوضوح..
ـ جيد.. ولكن هذا لا يعني أنت سادعك تزوجين من شخص لا
يتناسيك أبداً.. من هو هذا الشاب؟ ما اسمه؟ ما عمله؟ ومن أين هو؟
ـ إنه إيطالي..
ـ يا إلهي.. لا تقولي إنه عامل مقهى إيطالي وضعيف.. العالم يمع
بهم!
ـ لا، ليس عامل مقهى.. مع العلم أنت لا أكترث وإن كان
كذلك..
ـ إن سحر ثيدل لا يمكن في مركزه أو غناه، بل في جرأته وثقة
بنفسه وغوره الرجولي الذي يدفعه إلى النجاح.. وتابعت بسرعة:
ـ إنه رجل أعمال.. اسمه ثيدل».

أن يعرف أنه لن يتزوج ابنة زوجي بهذه السهولة. ثمة شروط محددة!
إنها تفكك في مال تعينه من الأمر، ولم تستطع أورسولا أن
تصدق.

- لقد تجاوزت الثامنة عشرة وهذا يعني أنني لا أحتاج إلى
موافقتك.

- ثمة اعتبارات أخرى.. قد أخبره عن إفلاس والدك وعن إعالي
لك قائلة إنني أنفق كل ما أملكه عليك.. ثم ها أنت تكبرين
وتبذليني.. لا أظن أن عائلة زاراكوتشي يحبون هذا النوع من
الفضائح.

شفقت أورسولا: «لن نجرؤ».

- بدأت تقلقين وتخافين أن تخسرى تأثيرك فيه؟
عادت إلى الطاولة حيث تركت سبکارتها تشتعل:
- حسن جداً.. ربما أنت محققة.. ربما سأنتظر حتى تتزوجي
سلام.. ولكنني سأمهلك سنة واحدة فقط.. أنت حمقاء إن ظنت أن
فتاة لا شأن لها مثلك قد تسعد أي رجل
التي فيها سخرية حقيقة، ثم أردفت:

- لكن الله وحده يعرف سبب رغبته في الزواج بك.. هل أنت
حامل منه؟ ولكن هذا لا يشكل فرقاً.. فيإمكانه بسهولة أن يدير لك..

صاحت أورسولا: «الست حاملة».

لم تظهر الدهشة على إيمان التي طالما أوضحت أنها تعتبر أورسولا
غبية وغير جذابة.. سالت فجأة:

- كم عمر قيدل زاراكوتشي هذا؟ إنه كبير بالنسبة لك؟ ولكن يبدو
أن لديه شعفًا بالفتيات الصغيرات؟

وكان هذا أكثر من أن تطيقه أعصاب أورسولا التي التقطت حقيبها
وهرعت إلى الخارج سرعة.

برقت عينا إيماء بخث، وكأنها تقوم الموقف من وجهة نظرها.
وسألت بصوت مليء السخرية: «قيدل ماذا؟».

لماذا التردد؟

- قيدل زاراكوتشي

حمد وجه إيماء: «زاراكوتشي.. أبو من عائلة زاراكوتشي؟».

ابتلت ريقها: «لا أدرى».

- مَاذَا تعنين بـ «لا أدرى»؟

توجهت إيماء إلى النافذة، ثم عادت وعلى وجهها العداء، الحقد
والذهول والتردد:

- إذا كنت ستتزوجين به فأنت تعرفين.

- أعرف أنه يعمل في مصرف...

قاطعتها زوجة أبيها:

- لا أصدق.. هايندا أنش أوروبا كلها عن يوفر لي وجة في
مطعم فخم.. وها هو أحدهم يهبط في حجرك أنت.. لا تقولي لي
إنك لم تسمعى بعائلة زاراكوتشي.. إنها عائلة من أقوى عائلات فيينا في
عالم المصارف في أوروبا.. كانت كلير صديقتي تتحدث عنهم منذ أيام
 فهي تملك اسهماً في شركة ملاحة في «روان» ترغب في بناء حوض
ضخم لبناء السفن.. إنه مشروع يحتاج إلى ملايين لا حصر لها، وطلبوا
من عائلة زاراكوتشي التمويل.. ولقد نشرت الصحف كلها الخبر.. ألم
تقرئيه؟ وكان هناك صورة أيضاً.

تمشت أورسولا: «لا لم أقرأ بي أنا لا أقرأ الصحف.. كان قيدل
في «روان» الأسبوع الماضي».

بدأت إيماء تضحك بهستيريا وقالت:

- إنها مزحة.. لا شك أنه شخص ما يحاول التغريب بك.. يظنك
تملكين مالاً أو يحاول معاشرتك.. أين هو الآن؟ أريد رؤيته.. أريده

عادت إلى شقتها سيراً، غاضبة من إيمان لحظة، ومرتبكة مشوشة أخرى. أخيراً، دخلت إلى الشقة.. ربما ليس فيدل هو الشخص نفسه! أين هو دليل الهاتف؟ وجدته تحت المتعهد، وفتحت صفحاته «إلا.. أفيينا..» ها هو زاراكوتشي.. قيينا.. إنه الاسم نفسه.

تهدت تهيدة عميقة وقعدت على وسادة فوق الأرض والشك يسكن قلبها.. إذن هو بالفعل فيدل زاراكوتشي.. فجأة شعرت بالعجز.. فإن كان لا يمكنها حتى التفكير بكلمة «مليونير» فاكتفت

بكلمة «ثرى» فلماذا يزعج نفسه بها؟
آخره يريد الزواج بي لسبب آخر.. ففي هذا الرجل ما هو خطير.. حين كانا معاً أحسست أنه رجل متكبر، عدواني، مسيطر ومميز، فكيف تحب شخصاً، وتريد الزواج به ثم في الوقت ذاته تخافه وتحار بأمره؟ هل ينذرها حدسها ثانية أو ما تشعر به هو التوتر الذي يسبّب الزواج عادة؟..

٤ - اليوم الذهبي

غاب فيدل أسبوعين كان المناخ خالماً قد تغير قليلاً فتلبد الجو بالغيوم.. قضت أيامها في حيرة واضطراب أما ليلاً ففضحه ساهرة تحاول معرفة ما إذا كان ما جرى حلمًا.. هل طلب رجل كفيدل يدها؟ أم يريد حقاً الزواج بها؟..

أغمضت عينيها بشدة وتقلبت فوق الوسادة.. أرادت أن تحضرت بقوّة.. أرادت أن تحس به بين ذراعيها.. أرادت أن تحس بقوّة تسيطر عليها وأن تحس به يقمع نفسه بقوّة إرادتها..

كان يتصل معظم الأيام.. في المرة الأولى اتصل بها من بروكسل ثم من لندن، وفي الأسبوع التالي اتصل من روما، وكان الوقت منتصف الليل تقريباً وقد استطاعت أورسولا سماع موسيقى آتية من مكان قريب.. شعرت أنه لا يتصل من فندقه..

سألها بهدوء: «أنت في الفراش؟»
ـ لا..

لم تستطع أن تقول له إنها لم تتمكن من النوم قبل أن يتصل..
وقالت: «كيف حالك؟»

ـ اشتقت إليك..
كان صوته منخفضاً مثيراً متكراً.. ثم تكلم معه شخص ما، وكان رده جملة طويلة باللغة الإيطالية.. فسألته وهي تحاول لأنظفه

طفلها، فالصوت لأنثى:
- أتقمب عند أصدقاء؟
- أتعشى مع أصدقاء... ولم الحظ الوقت... كنت أتمنى أن أتصل بك من شقتي.

أيعني هذا أنه لن يعود الليلة إلى شقته؟
- أما زلت معني أورسولا؟
- أجل.
- أبك شيء؟
- أنا... متعبة، هذا كل شيء.

ثم بدا غاضباً من نفسه، وشرح لها أنه سافر إلى ثيبيا في اليوم التالي ثم قال إنه لن يمكن من العودة إلى باريس حتى مساء الثلاثاء، حتى ذلك الوقت الطويل؟ ثم انخفض صوته متمتماً بدعوة حميمة:

- هل ستذهبين عشانِي؟
نضحت راحنا أورسولا عرقاً وأخذ نبض كليل مخدر يضرب ضرباته المألوفة في عروقها.

يوم الثلاثاء... إنه بعيد، بعيد. ودعنته متمنية له ليلة سعيدة، احتبت أورسولا فوق الأريكة، منهكة، تحس تقلصاً غريباً في معدتها... لماذا لم يقل لها من تكون المرأة؟

ثم، غمرها نوع آخر من القلق وهي تتأمل ذلك التغيير الهائل الذي جرى في حياتها في الأسابيع القليلة الماضية... الآن... هي... أورسولا التي تتقدّد دائمًا صديقاتها وحياتها العاطفية. هل أصبحت، صدقاً، مختلفة كثيراً؟

أتصيل بها من المطار ليقول لها إنه عاد إلى باريس، وإن السيارة ستصل لتقاليها بعد السابعة... بدا لها على عجلة من أمره. صوته ملك الغرب الذي في داخله والذي لم تلتقط به حتى الآن. وهي مفرطة

الإحساس أكثر من اللازم؟ أم أنه بدأ يغير رأيه؟
زجرت أورسولا نفسها وكانت تبتسم ابتسامة مشرقة عندما انفتحت أبواب المصعد ودخلت إلى الشقة...
لكنه لم يكن في الردهة بانتظارها... بل كان هناك شخص آخر...
شاب في مثل ستها، يرتدي بدلة أنيقة ويتحدث هاتفيًا باللغة الفرنسية.
التفت ما إن خطت أورسولا إلى الردهة، وابتسم لها ابتسامة سريعة.
لكنه في الواقع كان يصغي إلى من يتكلم معه، هز رأسه، قال أجل،
أجل، ثم رد مجدداً، وكان غاضباً، مصرًا... في صوته أكثر من لمسة
سلطة... ثم تكلم عن ستوكمول وعن بعض الأسماء... فرففت
أورسولا عينيها ثم سارت إلى غرفة الجلوس المتconcاعة منها أصوات
كثيرة.

كان قيدل هناك، يستخدم الهاتف الآخر وحول عنقه ربطه غير
مستوية. كان حاله كحال الآخر. كان بذلك مؤخرة عنقه، وبهز
رأسه... لم يشاهدتها... في الغرفة بضع رجال وعلى الطاولة مستندات
كثيرة وجهاز تسجيل، أما الجو فمتقلّب بدخان السكارى... لم تعرف
أورسولا لبرقة ما تفعل، ثم رفع قيدل رأسه فجأة وشاهدتها.
ابتسم نحيف قلبها... ثم أخذ يتحدث بالألمانية، كان صوته فاتراً
بارداً وخطيراً ولكنه حرك إصبعه يشير إليها أن تتقدم، فجأة وقف
الرجال المتكتفين على الأوراق.

همست أورسولا وقد أصبحت قربه: «الم أكن أعلم».
لف ذراعه حولها، وأكمل حديثه هاتفيًا، ثم توقف ليعانقها مثيراً
إليها أن تجلس.

قدم لها شخص ما كوب عصير، وجلست في أحد المقاعد
العلدية البيضاء الفاخرة، محاولة الابتعاد عن الطريق... الآن، وبعد
أن عرف زملاؤه عن أنفسهم رسميًا عادوا إلى اجتماعهم.

لأعطيك ما تريده بدون زواج.
بدأ على قيد النعيم وسأل: «أتحاولين قول شيء مالي؟»
ارتدىت عنه متوجهاً إلى أبواب الشرفة، تفتحها.. فدخان السكارى
العايق يُشعرها بالصيق.
أحسست بكل شكوك الأيام وألمها تضغط عليها: «أنا لا أعني ما
أقول».

- لماذا لا تدخلين إلى المطبخ لتطبقي لنا العشاء؟ ألم تأت لهذا
الغرض.. سأنظف المكان هنا.. وبعد ذلك سأشتم..
وقفت أورسولا في المطبخ تفكّر ماذا دهارها؟ هل أساءت التصرف
لأنها توقعت منه الكثير في لقائهما الثاني.. إنه حتى الآن ورغم رحيل
الجميع لم يعاتقها.. فهو واثق منها إلى هذه الدرجة؟ أكان يعامل نساء
جميعهم المعاملة ذاتها؟ وماذا عن تلك المرأة في روما؟..
تهدت غاضبة من نفسها ومنه في آن.. ثم فتحت البراد، فارتاعت ا
ثم راحت تبحث في خزانة المطبخ المليئة بأدوات الطعام، وفاجئين
القهوة والشاي.. ولكنها لم تجد طعاماً.. فليس في الخزانة أو البراد
 سوى بضة واحدة وبعض حبوب القهوة! أهذه هي حياة مليونير مثله؟
أعجز حتى عن تنظيم مطبخه؟

عادت غاضبة إلى غرفة الجلوس فوجده هناك جالساً يكتب شيئاً
ما.. أما تنظيف المكان فتركه غير عاليٌ، من الواضح أنه ما يزال
مشغول البال بشأن الأزمة المالية.. ألا يعني له الطعام شيئاً؟ أليس لديه
وقت للتفكير فيه؟ ربما لهذا السبب يريد الزواج بها.. ربما تعب من
العودة إلى المنزل الذي لا يجده إلا خاوية.. رفع رأسه عندما أحس
بها، فقالت:
- ليس هناك طعام..
مرر يده بيضاء على وجهه: «سأطلب طعاماً صينياً.. أتحبّين الطعام

ظهر الرجل الذي كان في الردهة، ونادي قيد الذي قطع حديده
وخرج إلى الغرفة الأخرى، حيث سمعت نبرته القوية المفعمة
بالسلطة..

مضت نصف ساعة، تلقى قيد خلالها مكالمات هاتفية عديدة..
سمعته يقول رداً على طلب ما:

- قال لهم إننا لن ندفع أكثر من عشرين مليوناً..
انقضت أورسولا وطلت هادئة.. فالعشرين مليوناً.. مبلغ ضخم
في جميع العملات..

هذا هو عالم قيد.. ولكنها عندما نظرت إلى نورتها البسيطة وإلى
سترتها القطنية تساءلت للمرة الأولى، لماذا أنا؟
أخيراً غادر الجميع، وعاد قيد إلى غرفة الجلوس، يمد يده إلى
أورسولا يقودها إلى مكتب كان يجلس إليه.. سحب وثيقة أمامه والتقط
قلماً..

- لم أرغب أن تكتشفي أمري بهذه الطريقة.. لكن حدث مشاكل
لم تكن تتوقعها..

- هذا ما فهمته.. ولكن لا يهم لقد عرفت..

- عرفت؟

وبدا.. ماذا؟ يشك؟

- من إيماء..

- آهاء!

- ليتك أخبرتني بنفسك!
ترك يدها، ودلك مؤخرة عنقه..

- أردت إطلاعك على الأمر، ولكن الأمور خرجت عن إرادتنا..
حاول أن يبتسم، ولكنه لم يفلح.. فنور وجهها:

- قلت لك إنه لا حاجة إلى أن تطلب يدي.. وكنت مستعدة

وعرف. عرف مخاوفها، وحيرتها. كان كمن يستطع رؤية كل شيء في أعماق نفسها.. وكان هذا مبهجاً، ومحيناً في آن. ابتلعت ريقها وهو يجفف يديه ويرمي المنشقة على الرف.

تقدم ليمسك بكلتا يديها، يضمها إليه ويطبع قبلة على شعرها:

ـ لست جائعاً.. وأنت؟ أتريدين أن أطلب الطعام؟

همست مغمضة عيبيها، تحس بجسدها يستيقظ أمام إثارة خطيرة: «الست جائعة في الواقع».

تمتم: «انتظرت هذا اليوم يفارغ الصبر».

مالت إليه، تفرق في ظلمة أحاسيسها.. تعقد ذراعيها وراء عنقه، .

* * *

تزوج فيدل وأورسولا في باريس في نهاية شهر تموز، وقد أخرا الزوج فترة بسيطة لأن فيدل رغب في أن يقضيا أسبوعاً كاملاً كثهر عسل.. وقال لها: سيكون لنا شهر عسل آخر.

أما الشهر الذي سبق زواجهما فكان مجتناً ولم تكن تراه فيه. انتقلت أورسولا لتعيش في شقته في هذا الشهر وكانت فترة رائعة للتفكير فهي بحاجة إلى هذا التكيف لتعتمد على فكرة الانضمام إلى عائلة صيتها ذاتي في أنحاء أوروبا كلها.

كان فيدل يأتي بسرعة ويدهب بسرعة، وهكذا قضت أيامها في وحدة.

كان حفل زفافهما مدنباً ويسطاً وعندما سألهما فيدل عما إذا كانت تفضل احتفالاً في كنيسة كبيرة.. تحضره عائلته وحشد كبير من الناس قالت إنها تفضله بسيطاً. والسبب بكل بساطة أنها غير جاهزة لمواجهة عائلته.

حدثها عن عائلته: أمه الأرملة نمساوية وهي تعيش في ثينيا. في

ثم ضحك بقلق، ووضع القلم من يده، ينظر إليها بعينيه الزرقاويع الساحرتين... كان اسمراوه قد أزداد، وهذا ما يناسبه أكثر فتقال: «الآلا تزيد متابعة العمل؟»

دفع الأوراق جانبًا: «ليس الآن، فليستظر العمل».

ـ كيف كانت لندن؟ فأنا لم أذهب إلى هناك منذ الميلاد الماضي.

ـ بدا فيدل منكثماً وكأنه لا يزال التحدث عن لندن: «عظيمة.. بـث هناك ليلة واحدة.. لقد أمطرت.

ـ ابتسما لها وكأنه يغير موضوع الحديث.

ـ وأمطرت هنا كذلك.

ـ وفي بروكسل أيضًا.

ـ إذن، من أين أتيت بهذا الاسمرار؟

ـ الاحظت هذا؟

ضحك: «بالطبع لاحظت».

بدت السعادة عليه: «لوحتي شمس روما».

أضفت لكته الإيطالية على اللفظ بــث عذباً، وأحست أورسولا بالاضطراب لأنها تذكرت تلك المرأة.

وقف فيدل يداعب ذراعها قليلاً.. ثم تمطى قائلاً إنه بحاجة إلى حمام.. خرجت إلى الشقة وهي لا تدري ما إذا كان مرغوباً فيها أم لا.

ثم تذكرت زيارتها الأولى إلى الشقة، ولاحظت أنها تجلس أمام لوحة «موندريلان» بدون أن تلاحظها. أهكذا تجري الأمور؟ أصبح المرء معتاداً على الترف والثراء؟ وهل ستعتاد على سمعة فيدل العالمية، وكل ما يتعلق به بالطريقة ذاتها؟

نزلت سترتها ثم توجهت إلى المطبخ وهناك رأته يضع الأكواب في غسالة الصحون.. وقف في الباب تنظر إليه.. تبسم له..

وقرب هذا الشخص مراسلان تحملان أوراقاً سألهما إحداهما بالإنكليزية عما إذا كانت قد صنعت الفستان بنفسها فشارق قيدل إلى دفع عروسه الجديدة إلى داخل السيارة قبل أن تردد . واتسعت عيناهما الخضراء واندهشت وغضباً:

- أتسعدت ما قالت؟ أيدو أني صنعت الفستان بنفسى؟ لو تعلم كم ثمنه..

ضحك قيدل بلطف، يلف ذراعه حولها:

- لا تسي أنتهم يعرفون أنت طالبة فنون . . وربما ظنوا أنت تدرس تصميم الأزياء.

- لكن كيف عرفوا أنتي طالبة فنون؟ ولماذا بهتمون بهذا؟
بدت الحيرة والجد على تعابير وجهه فرفع يدها يلشمها ولكنه ظل صامتاً.

تهلهلت أورسولا تهيدة طويلة ثم شقا طريقهما إلى الفندق لحضور حفل الاستقبال بمناسبة زفافهما . هل ستكون حباتها دائمًا غنية بمثل هذه المفاجآت؟ جلست صامتة تحدق إلى ما هو أمام رأس الساق .
بات كل شيء مختلفاً . ذهب الطيش وجاء وقت الحقيقة . ترى هل سكتشيف قريباً ما هو نوع الرجل الذي تزوجت به؟

* * *

الواقع، بدا أن كل جموع أفراد العائلة نساوين حتى دفع بهم تغير الحدود إلى إيطاليا . . كان متزل العائلة في بلدة «دولوميت» وقال لها إنها ستجبه . فيه بحيرة كبيرة . ولكنه لم يضف شيئاً آخر، ثم قال إنه من هناك يدير المكاتب في ميلانو وروما .

خدمت إيمان نيس لحضور الزفاف برفقة رجل . قال لها: «في الواقع س تكون جيران».

احست أورسولا، أن زوجة أبيها تنوى القاء في «نيس» فترة . وكان يوم العرس حاراً ارتدت فيه أورسولا ثوباً حريراً يسيطر فيه ورود صغيرة رزقاء وخضراء اشتراه من «غاليري لافاييت» الضخم المؤثر وما سهل لها ذلك، المبلغ الضخم الذي وضعه قيدل في حسابها المصرفي، لقد قال لها:

- إنه من الملائم أن يكون لك السبيل إلى مالنا .

حاولت الاحتجاج فما زالت تستغرب تكراة أخذ المال منه . وبيدو أن مشاعرها ظهرت على وجهها لأنه بدا ضجرأ من الموضوع وأضاف:

- سأغيب عنك كثيراً أورسولا . وهذا يعني أن من المنطقي أن تسددي فواتيري بنفسك في أثناء غيابي واعلمي أن ذلك سيدفع عنك بعض الضغط .

وهكذا اشتراك الفستان وما يحتاج إليه من إكسسوارات . عندما شاهدها ذلك الصباح نظرت إلى عينيه وما شاهدته فيهما كان يساوي كل شكرها مجتمعة .

همس حين جاءت السيارة لقلهما إلى مكان الزفاف:

*

- تدين جميلة . .
ودت أورسولا لو بطول هذا اليوم الذهي إلى الأبد . ولكنه لم يدم إذ انتهت المراسم سرعة، وخرجا ثانية إلى حيث الشمس المشرقة . في الخارج لاحظت أورسولا شخصاً ما يصورهما بكاميرا منظورة

- لا أصدق هذا أعني أنك تعيش هنا؟

وأشارت إلى البحيرة التي تقع في وسطها بقعة خضراء هي جزيرة
صغيرة بين عيناه الزرقاء
ابضم قيدل : إنها مناجاة .
- مناجاة !

أرادت أن تحضنه .. ولكن، أبتوغ قيدل زاراكونشي مثل هذا
التصريف من زوجته في العلن؟ وكان ان تراجعت وعندما ساعدها على
الصعود إلى المركب لم تفعل إلا الضغط على أصابعه .. بدا لها هذا
كافياً، فقد التقطت عيناه الزرقاوان عينيها في لحظة سحرية، خاصة
بهما.

قال وهو يمرر أصابعه على وجنتها :
- أنت متعبة.. كان يوماً طويلاً.. ولكنني كنت مضطرة للعودة بك
رأساً إلى هنا.

انطلق المركب بهما .. فجأة أحست أورسولا بأنها انتزع من
عالم الواقع .. وابتعدت عن البلدة الصغيرة بمقابليها وفندقها الملونة،
وأصبحت على مقربة من العجزة الخضراء الباردة .. أحست أنها عالقة
ما بين حياتها القديمة، وحياتها التي تلوح أمامها .. شعرت برغبة في
الوثب من المركب لتسعى إلى الشاطئ .. ولكنها لا تجد السباحة.

أدارت ظهرها إلى البلدة الصغيرة لستقر عيناه على قيدل،
الجالس مستريحاً في مقدمة المركب، هذا هو زوجي .. همست
بصمت لنفسها .. هذا الرجل الطويل الرياضي الذي تحرقها عيناه
وتعبدانها حية والذي يجعلها لمسته تحب الحياة هو زوجها وحبيها ..
جب الرائع يدفعها إلى ما وراء الحدود الروحية والنفسية لهذا
العالم، إلى ما لا اسم له أو زمن، أو حدود .. حيث ستلتقي إلى
الأبد ..

٥ - صديقة وعشيقه

كانت قمم الجبال المكسوة بالثلج مظللة بأشعة الغروب الحمراء ..
هكذا بدت القمم في الطائرة النافثة الخاصة الصغيرة .. نظرت
أورسولا بذهول إلى الجوهرة الزرقاء الرائعة .. إنها أروع بحيرة تراها ..
تابعت الطائرة هبوطها، وأصبح المنظر أروع الآن، فتحول البحيرة
إلى نافعات الجبال .. كان هناك قرية صغيرة رائعة ..

قالت من بين أنفاسها : إنها جميلة ..
فقد حدثت أمور كثيرة منذ رافقها في الصباح .. ولم تكن لتصدق
أن من الممكن أن يقوم الإنسان بهذا كله في يوم واحد ..

قاما برحالة جوية إلى «انسبروك» .. وفي انسيروك وجدت طائرة
نافثة خاصة تتذكرهما لتقلهما شمالاً فوق «بريتير» في إيطاليا .. وهما
هما الآن في «دولوميت» وفوق بحيرة فيرنو المرتفعة ..

تساءلت أورسولا أين ستحط الطائرة .. ثم نظرت من فوق كف
الطيار، فشاهدت منبسطاً من الأرض إلى جانب البلدة .. وهناك نهر ..
وملعب غولف .. طافت الطائرة الآن فوق أسطح المنازل ..

كان أمامهما مباشرةً مدرجاً .. راحت الطائرة تحط بيظه على
المدرج .. وجدت بانتظارهما سيارة وهذا أمر متوقع ولكن ما لم تكن
تتوقعه هو أن تقلهما السيارة إلى مرفأ صغير حيث يقع فيه مركب
سريع ..

هُزِتْ أُورُسُولَا رَأْسَهَا . . . وَلَكِنَّهَا كَانَتْ قَدْ شَاهَدَتْ لَوْحَةَ مُسْمَرَةٍ
فِي شَجَرَةٍ مُنْدَلِّيَةٍ فَوْقَ الْمَاءِ . . . فِي الْوَاقِعِ لَوْحَاتِنَّ، كَلَاهُمَا بِالْأَلمَانِيَّةِ
وَالْإِبْطَالِيَّةِ، وَالْإِنْكَلِيزِيَّةِ . . . عَلَيْهِمَا كِتَابَةٌ وَاضْعَافَةٌ: أَمْلَاكٌ خَاصَّةٌ . . .
ابْتَعَدَ لَا شَكَ أَنْ ثَيْدِلْ زَارَاكُوتْشِيَّ حِرْبَصٌ جَدًا عَلَى أَمْلَاكِهِ . . .

- الْقَلْعَةُ مَدْمُرَةٌ . . . إِنَّهَا قَصَّةٌ طَوِيلَةٌ . . .

كَانَتْ أُورُسُولَا مُشَوِّشَةٌ وَتَعْبَةٌ وَمُضْطَرَّبةٌ . . . وَلَكِنَّهَا لَمْ يَخْبِرْهَا عَنِ
الْقَلْعَةِ . . . قَلْعَةَ زَارَاكُوتْشِيَّ أَهْذَا يَعْنِي أَنَّهُمْ عَائِلَةٌ أَرْسِتَقَرَاطِيَّةٌ عَرِيقَةٌ فِي
الْأَصَالِيَّةِ . . . آهُ وَلَكِنْ أَيْنَ مَلَابِسُ نُومَهَا؟ إِنَّهَا تَبْحَثُ مُنْذَ فَتَرَةٍ عَنْهَا وَلَا
تَجِدُهَا . . . مَا أَغْرِبَ أَنْ يَوْضُبَ لَهَا آخَرُونَ ثَيَابَهَا . . .

سَأَلَهَا عِنْدَمَا دَخَلَ إِلَى الْغُرْفَةِ ثَانَةً:

- مَا بِكَ . . . صَغِيرَتِي؟

- لَا أَدْرِي مَا فَعَلُوكُمْ بِمَلَابِسِ النَّوْمِ . . .

تَقْدِمُ بِسَاطَةٍ إِلَى السُّرِيرِ وَجَذْبِ الْغَطَاءِ، وَهُنْكَ كَانَ ثُوبُ نُومَهَا
وَهُوَ غَيْبَةٌ بِيَضَاءِ مِنْ «الْدَّانِتِيلِ» النَّاعِمِ . . .

تَنْهَدَتْ . . . غَاضِبَةٌ مِنْ نَفْسِهَا لَأَنَّهَا لَمْ تَفْكِرْ فِي الْأَمْرِ مِنْ قَبْلِ
وَشَعْرَتْ بِالْأَرْتِبَكَ لَأَنَّهُ يَعْتَرِفُ كُلَّ هَذَا مِنَ الْمُسْلِمَاتِ . . . تَقْدِمُتْ لِتَأْخُذُ
ثُوبَ النَّوْمِ، وَلَكِنَّهَا أَوْفَقَهَا وَأَمْسَكَ وَجْهَهَا بَيْنِ يَدِيهِ:
- سِيَرُولُ الْأَسْتَغْرَابِ بَعْدَ قَلِيلٍ . . .

تَذَكَّرَتْ لَوْحَةُ «مُونْدِرِيَانَ» الْمُعْلَقَةُ فِي شَقَّةِ بَارِيسِ وَحَاوَلَتْ
الْإِبْسَامِ . . .

عَادَ إِلَى حَمَامِهِ لِيَسْتَحِمِ، وَخَلَعَتْ أُورُسُولَا مَلَابِسَهَا بِسُرْعَةٍ
وَنَوَجَهَتْ إِلَى حَمَامَهَا . . . وَقَفَتْ تَحْتَ الْمَيَاهِ الْبَارِدَةِ الْمُنْعَشَّةِ . . . لَقَدْ وَلِيَ
الْيَوْمَ السُّحْرِيَّ، وَلَتْ بَارِيسَ وَالْزَّفَافَ وَالرَّحْلَةَ فِي الدَّرْجَةِ الْأُولَى،
وَالطَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ، وَالْمَرْكَبِ وَالْبَحِيرَةِ وَالْفَيْلَلَا . . .

عِنْدَمَا لَمَحَتْ الْفَيْلَلَا لِلْمَرْمَةِ الْأُولَى كَانَتْ بَيْنِ الصُّتُورِ . . . وَكَانَ ثَيْدِلْ

حَرْكَ نَسِيمٌ عَلَيْلٌ شَعْرَهُ الْأَسْوَدِ . . . وَلَكِنَّهُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ عَنِ الْأَوْقَاتِ
الَّتِي كَانَ فِيهَا مَعَأً مِنْ قَبْلِ . . . وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مَجْرِدُ حِبَالٍ، إِنَّهُ إِلَيْهِ
مُوْطَنٌ . . . حَاوَلَتْ أَنْ تَذَكَّرْ مَا قَالَهَا لَهَا عَائِلَةُ زَارَاكُوتْشِيَّ . . . الْعَائِلَةُ
الَّتِي ذَكَرَهَا بِفَخْرٍ . . . وَهَا هِيَ إِلَيْهِ الْآنَ جَزْءٌ مِنْ تَلْكَ الْعَائِلَةِ . . . لَقَدْ قَالَ لَهَا إِنَّهُ
يَرْغُبُ فِي وَلَدٍ يَاسِرٍ وَقْتٍ مُمْكِنٍ. إِنَّمَا لِمَاذا؟ أَلَا يَكْنِيهِمَا جِبِيلُهُمَا فَتْرَةٌ
مَا؟ وَلِمَاذا يَعِيشُ بَيْنِ الْجَبَالِ الْمُرْتَفَعِ وَسُطُّ بَحِيرَةٍ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي
يَسْتَطِعُ فِي الْعِيشِ فِي مِيلَانُو أَوْ روْمَا؟ قَالَ لَهَا: كُنْتُ مُضْطَرًّا لِلْمُوْدَدَةِ
بِكَ رَأْسًا إِلَيْهَا . . . فَلِمَاذا؟ قَرْرَتْ أَنْ تَسْأَلَهُ فِيْسَا بَعْدَ، حِينَ يَصْبِحُانَ
وَحْدَهُمَا.

كَانَ يَقْفَ بِيَابِ غَرْفَةِ مَلَابِسِهِ عِنْدَمَا قَالَ جَوَابًا عَنِ سُؤَالِهَا:

- مَاذَا تَفَصِّدِينَ؟ أَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَحْمَلَكَ رَأْسًا إِلَيْهَا؟ هَذَا مَنْزِلِي
أُورُسُولَا . . . مَنْزِلُنَا . . .

كَانَتْ أُورُسُولَا تَفْتَشُ الْأَدْرَاجَ بِحَثَّا عَنْ مَلَابِسِ نُومَهَا . . . هُزِتْ
كَثْبِيَّهَا تَرْدِعْلِيَّهَا:

- أَعْنِي . . . أَظْهَرَتِ الْأَمْرُ وَكَانَهُ فِي غَيْبَةِ الْأَهْمَيَّةِ، ثُمَّ قَرْرَتِ الْوَصْولِ
إِلَيْهَا الْلَّيْلَةِ . . . لَيْلَةَ زَفَافِنَا . . . بَدَلًا مِنَ الْبَقَاءِ فِي بَارِيسِ وَالسَّفَرِ إِلَيْهَا
فِي الْفَدَدِ . . .

- إِنَّهَا . . .

فَتَشَّعَّ عَنِ الْكَلْمَةِ الْمَنَاسِبَةِ: «الْتَّقَالِيدِ».

اَنْتَزَعَ رِبَطَةَ عَنْقِهِ، وَفَكَ أَوْلَ زَرَّ مِنْ قَمِصِهِ وَهُوَ يَدْخُلُ إِلَيْهَا
غَرْفَهَا . . .

- تَقْضِي عَرَائِسُ عَائِلَةِ زَارَاكُوتْشِيَّ لَيْلَةَ زَفَافِهَا فِي الْقَلْعَةِ . . .

- الْقَلْعَةُ؟ أَيْهَا الْقَلْعَةُ؟

بَدَا دَهْشَانِي سُؤَالِهَا . . . وَكَانَ الْجَمِيعُ يَحْبُّ أَنْ يَعْرِفَ بِالْقَلْعَةِ:

- أَلَمْ تَشَاهِدِي الْخَرَائِبَ مِنَ الْمَرْكَبِ؟

كانت مخطئة لأنَّ أخرَ من جب ستره علبة صغيرة علبة
مجوهرات، في داخِلها قلادة ذهبية فيها لولوة دافنة وضعها حول
عنقها وثبتها هناك، بأصبع ناعمة ثابتة، ثم قبّلها وهي تلمس
القلادة.. وبدلاً لها كل شيء لطيفاً وبسيطاً.. ومناسبًا.
قال لها هاماً:

- لا ترتدِ الألماس أبداً فأنْت لا تحتاجينه.. سأشتري لك اللولو
والذهب.. دائمًا.

خرجت أورسولا الآن من تحت المياه الباردة ولفت جسمها
بمشقة سميكة. شعرت بحركة ما فاستدارت بسرعة. إنه ثيدل.. ومن
سيكون سواه، كانت عيادة الزرقاون مشتعةن فيما تراقص شياطين
صغرى.. نظر بإعجاب إلى شعرها الأشقر القصير وإلى حاجبيها
المقوسين وإلى عينيها الخضراءين الخجولتين اللتين تحركان في ناراً
متاجحة. رأت جيداً على مساعدته بشرتها الخفيفة السمرة التي تغطي
كتفيها واقترب منها..

ناهى إلينا رين لجرس الهاتف. فتأوهت أورسولا.. ثم
راحَت قدماتها تبحثان عن الأرض ولكنها أحسَت بيد قوية دافنة تلتف
حول خصرها وسمعت صوته يتمتم: دعيه وشأنه!
وقفت إلى الوراء فوق الوسائد، تضحك من نفسها.. تندس فيه،
تحس به يتحرك مستيقظاً.. وقالت:

- لكنه ما زال يرن.. إنه في غرفتك.

الفت ذراعه حولها: «لقيت اتركيه وشأنه».

ووجدت يده مستقرة على صدرها.. ثم عاد بخط في اليوم.
وابتسمت أورسولا برضى لأنَّها تعلم أنَّ اليوم سبتمبر أمامهما بدون
توقف أو ساعات.. لكن الهاتف ما زال يرن..
حركت يدها على ذراعه ببطء، مداعبة:

يمك بدها ويقنان في مقدمة المركب متسلكين بالحاجز.. في البداية
شاهدت سقوفاً حمراء مختلفة المستويات.. ثم شاهدت الجدران
البيضاء والتواذن الخشبية والشرفات الغنية باللورود. كان الجزء الأول
من المنزل برجاً، والجزء الآخر حديث المظهر وهو يطل على البحيرة.
نم رأت حدائق متدرجة تصاعد نحو المنزل، الذي أصبح مرثياً حالماً
أصبح المركب على رصفيف المرفأ. كانت الأضواء مشعة من التواذن
والشرفات مضاءة.

ووجدت أناساً كثيرين باستقبالهما وكانت جميعهم يرحبون بهما
ويبتسمون لهما.

أخيراًقادها إلى غرفة الاستقبال الأنيقة.. حيث استطاعت أن ترى
حقائبها محمولة إلى الداخل. ففكّرت أنها ستستغرب حياتها الجديدة
فيهي غير معادة على أن ينوب عنها أحد في ترتيب أغراضها.
جال ثيدل بها بسرعة في أرجاء المنزل، وعندما وصل إلى غرفة
نومها قال لها بفخر إنها تطل على أجمل منظر في الفيلا كلها.. ثم
أرشدَها إلى غرفة الملابس، التي تقع خلفها غرفة.. وبدأ على وجهها
إمارات الذهول فضحت عليها.

- إنها الوضع الأنساب. فلربما عدت متأخراً، أو عملت حتى وقت
متأخر.. ولكنني لن أفضي إلا القليل من الوقت هناك.

وشرح لها أن غرفتها هي التي سيستخدمانها.

تناولوا العشاء على ضوء الشموع، وكان الخدم قد اخْتُنوا تاركين
العروسين بمفردهما. اختارت أورسولا لهذه الليلة بلوزة يضاء مفعمة
بالأنوثة، وتونة من الكشمير. كان النسيم يلتصقها بساقيها ويقتسم
حباباً جسمها الذي تبرأ الأنوار من الداخل.. بدأ ثيدل سعيداً بها وهما
يقنان أمام حاجز الشرفة..

كانت تظن أنها لن تجد مزيداً من المفاجآت هذا اليوم ولكنها

٦١

الفتحة التي دخلت منها. أمسكت بالسماuga، وقبل أن تقول شيئاً، سمعت امرأة تقول بالإيطالية بصوت عميق مشير.

- فيديلو.. كارا.. حبيبي..

ثم ضاعت كل الكلمات المثيرة الإيطالية عن فهم أورسولا.

قالت بصوت متوتر:

- أووه مومنتو.. لحظة واحدة.

تمكنت أخيراً من استخدام الكلمتين الإيطاليتين اللتين تعرفهما. وضعت السماuga من يدها، ودخلت إلى غرفة الملابس إلى حيث كان فيديل يتحرك في نومه. شاهدت يده تمتد بحثاً عنها.. فحاولت الاظهار الاهتمام.. ولكنها تذكرت ما معنى الكلمة «كارا».

- هناك مخابرة لك.

لقد نادته «فيديلو».. ولم تكن تتكلم الإلمانية كأهل هذه المنطقة.. هي المرأة التي كانت في روما؟

دخلت إلى حمامها، تغلق الباب وراءها، تلتقط منشفتها ورويه عن الأرض وفتح الحفنة لأنها لا تربد أن تسمع شيئاً.

عندما خرجت وجدته يتابع كلامه الهاتفي. القطط فستانًا صيفياً أحضر اللون كانت ترتديه في اليوم الأول الذي تقابلوا فيه في اللوغر.

بدلاً لها الورقة الذي مر بها عمرًا كاملاً.. لكن.. ماذا كان فعلًا؟ مجرد شهرين.. من الواضح أن زماناً سير قيل أن تكشف كل النساء في حياته أنه لم يعد متوفراً لهن.

حين عاد إلى غرفتها، كانت تجلس أمام طاولة الزيتة تدلك كثثيرها بواقي من أشعة الشمس.. ووقف بالباب للحظة، طويلاً، فخوراً في الشهرين اللذين عرفته فيها كان اسمراوه قد أصبح برونزياً ذهبياً. وتذكرت أنه قال لها: أتنى المسيرة من روما! التوت معدتها يالم من نوع جديد. مع ذلك، كانت عيناها في المرأة تستمتعان بطروله

- ألن يوجد عليه أحد في الطابق السفلي؟

تمـ: لا، إنه خط خاص.

- إذن، أليس عليك أن تردد؟

- لست في غرفتي.. أحب مكاني هنا.. ولا رغبة لي في الذهاب إلى الغرفة الأخرى في الوقت الذي نام فيه زوجتي في هذا الفراش.. أنا أريدها.. الآن.

همست وعيتها ببرقان: «هذا واضح حبيبي».

في هذه المرة لم يكن هناك انتهاء للزمان أو وصول إلى عالم آخر.. إنما كان هناك عنوان مميزة يشار كان فيها وسادة واحدة... رن جرس الهاتف مجدداً بعد نصف ساعة ولم يسمعه أي منها.

كانت الغرفة تشع بأشعة الشمس حين استيقظت أورسولا مجدداً.. كان الوقت متاخرًا، متاخرًا جداً.. وفيديل ما زال غارقاً في سبات عميق.. تسللت من الفراش، وارتدى قستان نومها، الذي وجدت صعوبة في إيجاده، وخرجت إلى الشرفة، فاغرفة فاها، مذهولة أمام المنظر الساحر الذي كان يتظرها.. سماء صافية، بحيرة زرقاء، وجبل واسعة. تناهت إليها أجراس كنائس الأحد خفيفة بعيدة.. غامضة وكأن لا زمان لها.

جذبت حركة ما على الشرفة السفلى اهتمامها. شخص ما يحضر الفطور لشخصين.. فتسللت إلى الطرف الآخر من الشرفة لأنها تخجل إن رأها أحد بباب التوم.. ولكن عليها أن تعتاد على ما يحيط بها من خدم كما عليها أن تعرف إليهم، وعليها أن تعلم كيف تدير منزل فيديل.

عاد الهاتف إلى الزين، وأدركت أورسولا أنها تقف خارج أبواب غرفة فيديل الخشبية.. ولو استمر الزين لأوقظه.. انفتحت الأبواب بسهولة، وتسللت إلى الغرفة الباردة المظلمة إلا من شعاع ينفذ من

وهما يكتشفان أعماقها الخضراء الباردة.. ووجدت أن ليس هناك ما
تبقى من القلعة العتيقة.. ولم يخبرها ما حدث لها، وهي لم تأسف..
سبحا معاً في كهوف تغمرها المياه، حيث لا يزيد ارتفاع الماء عن
بعض أقدام.. ولكنه حذرها من السباحة في مكان آخر لأن المياه عميقه
الغور في كل حدب وصوب.. سارا بين الأشجار في ممرات تحف بها
الشلالات.. وراقبا النسور طوف فوق رأسيهما في كبد السماء.. كان
 أسبوعاً جميلاً ستبقى ذكراه إلى الأبد، غنياً بأماكن جديدة، وبتجارب
جديدة.. وبقيدل وليلي سحره وغزله.. ولكن ما أسرع ما عاد الأحد..
ثم جاء صباح الاثنين.

استيقظت أورسولا ببطء، تدرج فوق السرير وتمد يدها إليه..
لكن السرير كان خاويًا.. يا إلهي.. انظري إلى الساعة.. لقد
تجاوزت النافورة! إنها تزداد كلًا.. ثم وهي تكافح لتتفق شاهدت
مذكرة قرب الصبح.. لقد سافر قيدل إلى ميلانو.. ولم يشا أن
يوقظها.. ولا يعرف متى يعود..

تناولت فطورها وحيدة، تحس بالشوق إليه.. كانت على الشرفة
تناول فطورها عندما جاء ديلفي حاملاً الهاتف ورفع لها الساعة،
وقال باستسامة دائنة:

- الكوتنيسة رونا دوراليس.

احسنت أورسولا بالراحة لأن أحد الخدم يتكلم شيئاً من
الإنكليزية.

شكّرته أورسولا، وأحسّت بقلبه فجأة بين قدميها..
الكوتنيسة.. ! يا الله!.. لماذا لم يقل قيدل لها هذا! ولماذا هو ليس
هنا؟ انظرت حتى ابتعد ديلفي.. كُبف يخاطب المرأة كوتنيسة يا ترى؟
قالت بهدوء بارد، يا للعجب:

- أنا أورسولا زارا كوكتشي.

ورجوله.. تقدم ليقف خلفها، متأنلاً الأنوب من يدها وراح بذلك
ظهرها.

قال، وفي صوته بعض الخشونة:
- إنها صديقة.. تقول إنه كان عليك الانتظار قليلاً، فهي تتنرن
الإنكليزية.

نظرت إليه في المرأة، ولكن عينيه لم تبارحا ظهرها: «لم أكن
أعرف».

- لقد جاءت إلى الجبل لقضاء الصيف، فروما حارة جداً.
تكلّصت معدتها مجدداً: «روما؟!

- سـي..
ما زال مأخذوا باللغة التي تكلم بها منذ قليل. التقطت أورسولا
 أحمر الشفاه:

- ألم تأخر في ترك روما؟ إننا في أواخر تموز.
هز كتفه: «آه، رونا ت safر إلى المكان الذي تريده.. لقد عادت
لتوها من سويسرا».

- رونا.. اسم جميل..
لديها فيلا قرب «مورانو» على بعد نصف ساعة من منزلنا.

قالت بخفقة: «إذن أنوّق روبيها عما قrib». أعاد قيدل غطاء الأنوب إلى مكانه بشدة، ثم وضعه على الطاولة
هازأ رأسه هزة مشدودة غير راضية، ثم اتجه إلى الحمام استعداداً
لارتداء ملابسه.

لكن المخابرة تلاشت من ذهnya في الأسبوع التالي الرائع..
الأسبوع الذي استطاع فيه قيدل البقاء حراً.. قاما برحلات تحت ضوء
القمر في يخته الكبير. واستلقيا على الصخور الملساء الدافئة حول
شاطئهما الخاص.. وأراها الجزيرة، وقضيا طوال عصر أحد الأيام

تنهى إليها الصوت الدافئ العميق:

- أنا رونا دوراليس.. ما أروع التحدث إليك أخيراً عزيزتي
أورسولا.. هل آخر جنك من فراشك؟

- لا أبداً.. ما أطفلك أيتها الكونيسيّة لأنك اتصلت بي
ـ رونا.. أرجوك.

ـ رونا إذن.. لقد سافر قيدل إلى ميلانو.

ـ هذا عظيم.. لا؟ فنحن لا نزغ في الرجال حولنا دائمًا؟
ـ يا له من حديث غريب! نقلت أورسولا السماحة إلى الآخر:

ـ أعتقد هذا.. هناك ما أستطيع القيام به من أجلك رونا؟
ـ في الواقع أنا من سيعرض عليك المساعدة.. فأنا وقידل
صديقان حميان.. وأعرف أنه يود لونصع صديقين أيضًا.

ـ ضحكت قليلاً: «أنا أعرف.. هل شرح لك كل شيء عن الفيلا..
وعن الموظفين؟ أتكلمين الألمانية أم الإيطالية؟»
ـ أخشى أنني لا أعرف أيًا منها.

ـ ظهر التفاف في صوت الكونيسيّة:

ـ إذن، يجب أن نتكلم بمفردنا.. فالرجال لا يرغبون في إزعاج
أنفسهم بمثل هذه الأمور.. سأزورك اليوم؟ أجل؟ للغداء ربما؟
ـ وعندها ستحدث قليلاً...

ـ صمت قليلاً تفكّر في الكلمة المناسبة:

ـ حديث فتاة إلى الأخرى.. وسأساعدك في تحضير الحفلة.

ـ حفلة؟ أية حفلة؟

ـ أوه.. هذا مؤسف جداً.. الرجال لا يفكرون.. إنها حفلة
لاستقبال العروس الجديدة.
ـ لكن، لا حاجة لها بها.. أنا لا أحتاج إلى حفلة..

ـ ظهر شيء من التوبيخ في صوتها وهي تقاطعها:
ـ لكنها حدث متوقع عزيزتي أورسولا.. لا تقلق.. سأساعدك
في تنظيم أمورها.. أراك لاحقاً.. أجل؟ حوالي الساعة الواحدة.
ـ نعمت أورسولا: «أجل، جيد».
ـ وعدتها، وأعادت السماحة ببطء.. في الواقع، يجب أن تكون
ممتنة لوجود امرأة أخرى تتحدث إليها، وشرح لها الأمور.. هل هذه
هي الكونيسيّة التي كانت مع قيدل حين اتصل بها في باريس؟ لكن روما
ملينة بأمثالها.. ولا شك أن لديه صديقات عديدات.
ـ نادت ديلجي وأخبرته بأن الكونيسيّة قادمة للغداء.

ـ في هذا الوقت وصلت زوجة ديلجي التي سمعت ما قالته أورسولا
عن قيوم الكونيسيّة فقالت شيئاً بالألمانية، وأسرع ديلجي يترجم ما
قالته زوجته:

ـ تقول زوجتي إنها تعرف ما يُعجب الكونيسيّة من أطعمة وهي
مستعدة لتحضير وجهة اليوم حتى تعتادي..
ـ تنفست أورسولا الصعداء، ولكنها لاحظت مما جرى من حديث
أن الكونيسيّة زائرة دائمة.

ـ أضاف ديلجي:

ـ ترغب زوجتي أيضاً في معرفة موعد وصول خادمتك الخاصة
تساءلت في نفسها.. وهل يجب أن يكون لها خادمة خاصة؟ ولكن
لماذا؟ سجّلت نسأ عميقاً.. هذا منزلها، وهذه حياتها، ويجب أن
يعتاد الجميع على إدارة الأمور على طريقتها.

ـ ابتسامت لـ ديلجي: «هلا ثلت لروجتك إنه ليس عندي خادمة ولا
احتاج إليها.. ثم اشكرها ببابا عني لأنها ستقوم بإعداد الطعام».
ـ ثم ابتسامت لهما فانصرفا.

ـ أمضت أورسولا الصباح في رسم تخريط حدود المجال وحدود

حمل إليها ديلجي إبريقاً من الليموناضة الباردة وارتشفت قليلاً من كوبها الذي وضعه لها على طاولة صغيرة ثم وقف وراءها ينظر بانتقاد إلى اللوحة:

- هل ورثت الموهبة عن والدتك؟

دهشت أورسولا واستدارت تنظر إليه، تمسك بيقيعتها:

- وكيف عرفت؟ هل أخبرك فيدل شينا؟

هز كتفه قائلاً: «الموهبة لا بد أن تأتي من شخص ما».

ثم قفل راجعاً إلى المنزل فنظرت إليه أورسولا حائرة. من الواضح أن قيدل أخبره فيما العيب في ذلك؟

عادت إلى رسماها، لقد وعدت نفسها أن تعود إلى المنزل بعد الثانية عشرة.. ولكنها نسيت الوقت ولم تتبه حتى سمعت أخيراً وقع أكماب رفيعة تندم منها.

فقررت واقفة وعيناها متسعتان.. النساء الإيطاليات مشهورات بأنفاقهن.. ولم تكن رونا دوراليس شاذة عن هذه القاعدة. كان قستانها من الحرير الأحمر. رونا امرأة جميلة قوامها رائع، شعرها أسود. جعلها جسمها تشعر بأنها مجرد تلميذة أمامها.

احمر وجهها، وكرهت نفسها.. قامت بجهد فائق للقاء رونا دوراليس بإبتسامة مشرقة:

- يا الله! كوتنيسة.. لم يكن لدى فكرة عن الوقت! آسفه لأنني لم أستقبلك على رصيف المرافأ

ومدت يدها، لكنها وع特 متاخرة، أن يدها ملطخة بالدهان. لم يفت الكوتنيسة شيئاً ولم يغب عن عيتيها السوداوسين الدعجاوين الحسد الطويل التحليل والشعر الأشقر أو الشورت القصير، والتي شبرت، وقبعة القشن القديمة.

افتترت شفاتها ببطء عن ابتسامة راضية.. ونظاهرت أنها لم تر اليه الممدودة، وتقدمت لتقبل أورسولا على وجنتها.

- الآن أجبت عن أسئلتنا، تساءلت جميعاً عن سبب عجلة فيدللو الحبيب للزواج.. فأنت فاتنة وصغريرة.

كان في صوتها لسنة.. هاذا؟! سلية أم ضئينة؟

- ما أروع اللقاء بك أخيراً.. واثقة أنا من أنا ستصبح صديقتين.. حبيبي فيدللو رجل محظوظ جداً.

تمتننت أورسولا قائلة:

- أرجو أن تطلبني من ديلجي أن يحضر لك شراباً ريشما أبدل ملابسي..

ثم توجهت إلى المنزل ولكن قلبها كان في أثناء الطريق يبرد أكثر فأكثر فهي ليست بحاجة إلى محللة نفسية لتقرأ ما بين السطور.. أو لفهم تلك النظرة الخاصة في عيني رونا دوراليس، وهي تلفظ اسم فيدل.

وفيما كانت تبدل ملابسها توضح لها معالم الوضع الجديد.. لا بد أن الكوتنيسة وفيلد كانوا عشيقين.. الكوتنيسة والمرأة في روما شخص واحد.

فأيهما يا ترى أنهى العلاقة.. ومتى؟

* * *

لم يمض وقت على ذهاب الكونتيسة حتى اتصل ثيدل قائلاً إنه
مضطر للبقاء في ميلانو ثم سألهما كيف قضت يومها فضحتك يا شرقي
بالغ فيه وأخبرته أنها استقبلت ضيفة
- من؟

- رأت الكلمة كالوسط في الهاتف وحين أخبرته، قال بحيرة:
- وماذا تريده؟ هل قلت لها إنني سافر؟
لماذا غضب؟ ألا يريد أن ترى أحداً أم أنه لا يريد منها أن تقابل
هذه المرأة بالذات؟

سارت على طول الشاطئ المفروش بالحصى. كانت الحال
المحيطة بها تعكس صورتها على مياه البحيرة الزرقاء. قعدت على
صخرة كبيرة تراقب المراكب الشراعية فلقت نظرها يخت صغير، ذو
أشعة بيضاء وزرقاء راح يتجه نحوها.. راقبته وهو يقترب.. كان في
الواقع مركباً صغيراً على منه رجل واحد.. ولم تمض برهة حتى
اتضح لها أنه يوشك أن يرسو.. ألم يشاهد لوحـة التحذير بالابتعاد؟
توجه المركب الصغير مباشرة إلى الشاطئ، لا شك أن مالكه يظن
المكان له وحده.. فلا مجال لرؤيه الفيلا من هنا.. وتساءلت عما إذا
كان عليها أن تقدم منه لقول له إنها أملاك خاصة... ولكن ما
الداعي.. إنها جزيرة كبيرة وهناك مجال كبير لكليهما وفي الواقع ما
أروع ما سيكون التحدث إلى شخص ما..
فجأة، فقر الرجل إلى المياه الضحلة يدفع المركب الشراعي
الصغير إلى الشاطئ..
بدأ لطيفاً، شاباً، في الخامسة أو السادسة والعشرين، أسر
اللون، أسود الشعر. كان يرتدي ثوب سباحة أبيض يبرز رشاقة جسمه

٦ - زوجي ليس لي

بقيت الكونتيسة هناك طوال العصر، بدا جمالها في غير مكانه في
جبال وبحيرات «التواريغو».

قالت رونا وعيها السوداوان الدعجاوان تيديان عدم الرضى عن
ثياب أورسولا البسيطة:

- سأقُم لك إن سمحـت نصائح بشأن ملابسك واختيارها.. أرجو
أن يؤمـن لك ثيدل نفقات كافية.

أمضـتـ العـصرـ فـيـ مـناـقـشـ أمرـ الحـفلـةـ، وـقـالتـ تـقـرـحـ:
- سـأـكـبـ لـكـ لـاتـحةـ بـاسـمـاءـ الـمـدـعـوـينـ.. وـلـكـ عـلـيـكـ أـنـ تـقـرـرـيـ
ماـ إـذـاـ كـنـتـ تـرـيـدـيـ أـنـ يـحـضـرـوـ جـمـيعـهـمـ.

ثم تحدثـتـ عـنـ الـمـلـاـيـسـ مـجـدـداـ ذـاكـرـةـ أـنـ عـلـىـ أـورـسـوـلـاـ اختـيـارـ
ثـوبـ مـمـيـزـ لـلـحـفلـةـ.. كـانـتـ أـورـسـوـلـاـ طـوـالـ الـوقـتـ تـبـتـسمـ وـتـهـزـ رـأسـهاـ
مـوـافـقـةـ مـعـ ضـيقـهـاـ الـآـيـقـةـ، فـلاـ مـجـالـ لـلـإـنـكـارـ أـنـهـاـ قدـ تـسـاعـدـهـاـ فـيـ ثـيـدـلـ
يـتـوـقـعـ مـنـ زـوـجـهـ أـنـ تـحـسـنـ التـصـرـفـ كـمـاـ يـتـوـقـعـ أـنـ تـخـتـارـ مـصـمـيـ
الـأـزـيـاءـ الـمـعـرـوفـينـ، وـتـدـعـوـ النـاسـ الـمـنـاسـبـينـ.. وـيـجـبـ أـنـ تـكـونـ
مـمـتـنةـ.. وـلـكـهـاـ لـمـ تـسـطـعـ أـنـ تـخـلـصـ نـفـسـهـاـ مـنـ الـإـحـسـاسـ بـعـدـ
الـثـقـةـ.. أـمـ الـطـبـيـعـيـ أـنـ تـنـاقـشـ الـعـثـيقـةـ السـابـقـةـ الـأـمـورـ بـعـدـ الـزـوـجـةـ
الـجـدـيـدةـ بـكـلـ هـذـهـ السـعـادـةـ؟ـ هـذـاـ مـاـ يـعـنـيـ أـنـ رـوـنـاـ إـمـاـ لـاـ تـمـانـعـ فـيـ خـسـارـةـ
ثـيـدـلـ وـإـمـاـ أـنـهـاـ لـمـ تـخـسـرـهـ حـتـىـ الـآنـ!

الطوبل

قررت السباحة فاندفعت إلى غرفتها لترتدي ثوب السباحة. أخذت

قبعة شمس ومشقة وواقياً من أشعة الشمس. عليها لا تتعل ذلك طبعاً لأن قيدل لن يوافق ولكن ماذا عنه؟ كم من النساء العذابات سيلقى بهن في ميلانو وفينسا؟ ذكرت فجأة في الكوتيسية فشعرت بالسرور لأنها هنا في الجبل عوضاً عن أن تكون حرفة في مكان مامع قيدل.

كان المركب يرسو على الشاطئ عندما وصلت أورسولا إلى هناك. في البداية ظهرت بالدهشة والغضب لغزوه شاطئها الخاص مجدداً، ولكنه ابتس لها، ومل لها بده يعرفها بنفسه فقال إن اسمه ريكو دوريانو.

قالت له أورسولا، بدون أن تذكر اسمها:

- هذا هو المكان الوحيد في الجزيرة الذي أستطيع السباحة فيه، فالמים عميق الغور في ما سواه.

وعدها لا يكلمها أو يقترب منها وأبعد مشقة وسلة طعامه إلى الناحية الأخرى من الكهف الصغير، وهذا لم يكن بالضبط ما خطط له أورسولا.. لكنها لم تستطع فعل شيء.

بعدما ساحت لبعض الوقت تقدم منها ريكو بعرض عليها زجاجة مرطبات باردة.. وكانت مسروقة بقولها، هكذا وضعاً مشقشقاً في القل، وراح يرثثان العصير.

راح ريكو يحدثنها عن نفسه قائلاً إنه هنا في عطلة يقوم بالسباحة في القوارب السريعة والمركبات القوية المحرك.

- لماذا لا تسباق الآن؟

نظر إلى البحيرة، ثم ابتس: - أصيـبـ مرـكيـ بـحـادـثـ .ـ وأـحـاجـ إـلـىـ مـرـكـ جـدـيدـ .ـ وـمـنـ

المـعـرـوفـ أـنـ شـاءـ مـرـكـ جـدـيدـ أـمـ بـاهـظـ الشـمـ رـانـ صـمـتـ غـرـبـ وـلـمـ تـجـدـ أـورـسـولاـ مـاـ تـجـبـ عـنـهـ .ـ أـضـافـ بـعـدـ

راـبـطـهـ وـهـوـ يـمـدـ وـيلـويـ ذـرـاعـيهـ نـاظـرـاـ إـلـىـ مـاـ حـولـهـ بـكـيلـ،ـ ثـمـ رـأـهـ يـرـمـ القـيلـ بـنـظـرةـ سـرـيعـةـ .ـ هـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ يـعـرـفـ طـرـيقـهـ جـيدـ؟ـ ثـمـ عـادـ إـلـىـ الـمـرـكـبـ مـنـاـوـلـاـ مـشـقـةـ وـسـلـةـ للـتـزـهـاتـ،ـ اـنـظـرـتـ أـورـسـولاـ حـتـىـ حـضـرـ كـلـ شـيـءـ ثـمـ تـسـلـلتـ مـنـ مـحـبـتهاـ وـتـقـدـمـتـ إـلـىـ

الـتـفـتـ إـلـيـهـ بـحـدةـ وـدـهـشـةـ ثـمـ بـيـهـجـةـ .ـ بدـأـ سـيـلاـ مـنـ الـكـلـمـاتـ الإـيـطـالـيـةـ فـهـمـتـ مـنـهـاـ أـنـ يـعـذـرـ لـتـطـفـلـهـ وـيـسـأـلـهـ الـغـفـرـانـ .ـ نـظـرـتـ إـلـىـ عـيـنـيـهـ السـوـادـوـينـ الـجـمـيلـيـنـ وـقـالـتـ :ـ

- أـتـكـلـمـ الـإـنـكـلـيزـيـةـ؟ـ

شـعـرـتـ بـأـنـهـ مـنـ قـبـلـ،ـ وـرـمـيـ يـدـيهـ فـيـ الـهـرـاءـ غـبـطةـ .ـ سـيـ .ـ أـجـلـ .ـ أـلـنـ تـنـطـرـدـنـيـ؟ـ أـرـيدـ فـقـطـ أـنـ أـسـتـلـقـيـ تـحـتـ أـشـعـةـ الـشـمـسـ ثـمـ أـتـاـوـلـ الـغـداءـ .ـ رـيـسـاـ تـرـغـبـنـ فـيـ الـانـضـامـ إـلـىـ؟ـ هـزـتـ رـأـسـهـ وـلـكـنـهاـ تـذـكـرـتـ أـنـهـ زـوـجـ قـيدـ،ـ وـهـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ عـلـيـهـ أـلـاشـعـجـ مـنـظـفـلـاـ .ـ

- يـسـتـحـسـنـ أـنـ تـقـادـرـ الـمـكـانـ حـالـمـاـ تـنـهـيـ وـجـبـتـ وـسـأـظـاهـرـ بـأـنـيـ لـمـ أـشـاهـدـكـ .ـ

أـحـجـ بـعـيـنـيـنـ حـزـيـتـيـنـ .ـ وـمعـ أـنـهـ ضـحـكـتـ عـلـىـ حـزـنـهـ الـمـفـتـلـ،ـ إـلـىـ أـنـهـ لـاحـظـ مـرـحـاـ خـيـثـاـ فـيـ صـوـتهـ وـقـرـرـتـ أـنـ قـدـ يـكـونـ بـالـفـعـلـ مـرـحـاـ،ـ وـرـفـيـقـاـ جـيدـاـ .ـ وـلـكـنـهاـ بـعـدـ تـرـددـ بـسـيـطـ تـرـكـهـ .ـ

لـمـ تـفـكـرـ أـورـسـولاـ بـالـحـدـثـ حـتـىـ صـبـاحـ الـيـومـ الثـالـيـ عـنـدـمـاـ كـانـتـ تـتـاـوـلـ الـفـطـورـ عـلـىـ الـشـرـفـةـ .ـ فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ اـتـصـلـ بـهـاـ قـيدـ ثـانـيـ لـيـقـولـ إـنـهـ سـيـغـبـ بـضـعـةـ أـيـامـ أـخـرىـ بـسـبـبـ بـعـضـ الـأـعـمـالـ الـمـتـرـاكـمـةـ .ـ بـدـاـ إـنـهـ سـيـغـبـ بـضـعـةـ أـيـامـ أـخـرىـ بـسـبـبـ بـعـضـ الـأـعـمـالـ الـمـتـرـاكـمـةـ .ـ فـيـ الـفـرـاشـ الـكـبـيرـ فـارـغـاـ بـدـونـهـ وـلـكـنـهـ الـآنـ وـفـيـمـاـ كـانـتـ تـحـسـيـ الـعـصـيرـ،ـ شـاهـدـتـ الـمـرـكـبـ جـدـيدـ،ـ ثـمـ شـاهـدـتـ شـرـاعـاـ صـغـيرـاـ لـوـنـهـ أـزـرقـ وـأـيـضـ .ـ

دقائق يسألها:

- المكان موحش . وزوجك مسافر؟

أحست بالذنب ولكنها سارعت تقول له إنها رسامة تقضي وقتها بالرسم دعاهما مجدداً لتناوله و كانتها تتوافق ولكنها تذكرت فجأة أن

الخدم سيقلقون عليها إن لم تظهر بعد قليل فقالت:

- ولكن، إذا كنت قدماً غداً فستتناول معك الطعام . سأطلب من الطاهية تحضير الغداء .

ولكن لم يكن قادرًا على المجيء في الغد، واتفقا على يوم الجمعة . ابسم، وعيناه تطوفان بقدحها الرشيق .

- إذا كان الزوج في المنزل فسابقونه طبعاً عن الطريق . غضبت أورسولا وقالت وهي تجمع منشفتها وأغراضها:

- وقد لا أتمكن من المجيء على أي حال . كان اليوم حاراً حقاً . حضر ديلجي لها الغداء في غرفة الطعام التي كان فيها مكيف فسرّ أورسولا دقة ديلجي في مراعاة مشاعرها وحاجاتها . يجب عليها حقاً أن تطلب من قيدل وضع مكيف في المطبخ .

تناولت وجبتها ببطء تفك في ريكو كيف عرف أنها متزوجة مع العلم أنها خلعت خواتتها قبل أن تترجم للسباحة . ما كان عليها الاتفاق مع البحار المتغفل على موعد للغداء ، فصباح يوم الخميس اتصلت الكونتبية لتقول إن لائحة المدعوبين جاهزة . سألتها إن كانت ت يريد رقتها في وقت ما في هذا اليوم . قالت أورسولا: أهل أنت واثقة أني لا أزعجك كثيراً؟ أريدك أن

ذهب أنا إليك؟ صباح الغد ربما؟

وهذا سيمتحنها عذرًا لثلا ثلثي ريكو . ردت رونا بسرعة:

- لا... لا... سأتناول غداً الغداء مع... صديق.

أي صديق؟ قيدل؟ أبعدت أورسولا الأفكار المرعجة:

- سأني اليوم . وستقرر معًا ما ستقدميه من طعام في الخلفية أعلمي أنك ستضطررين إلى استئجار خدم إضافيين .

وكان أن جاءت الكونتبية بعد الظهر، شناولت الشاي على الشرفة . بدت رونا أكثر جاذبية اليوم في فستانها العاري الظهر الذي يظهر حناء جسدها بالتفصيل .

- لدى اللائحة هنا .

فتحت ورقة كبيرة، أخرجتها من حقيبة صغيرة فحاولت أورسولا الاظهر صدمتها . وسألت:

- كم عددهم؟

- مئة... مئة وعشرون... لا أذكر بالضبط .

- إنه عدد كبير ولكن ألم يأتني زوجك؟

ردت المرأة: «مات دومينيك منذ ثلاثة أشهر» .

لماذا لا أتعلم إيقاف فمي؟

- أووه... ما أشد أسفني!

- لا يهم... كان موته متوقعاً منذ مدة... فقد كان زوجي أكبر مني سنًا... زواجنا كان زواج مصلحة .

- أجل... وهل لديك أولاد؟

- وهل أبدو لك أهلاً؟ لكن هناك من يعيش هذا كله .

ردت أورسولا بصوت يارد جليدي أدهشها هي نفسها: «لا أظني نهمت قصتك» .

ابتسمت الكونتبية بلزوم، ولمعت عينيها بالحدق:

- أظنين أن هذا كله سيدوم لك؟ الحب... وشهر العسل

انتصوري أن حياتك ستبقى عسلاً إلى الأبد؟

- لا.. بالطبع لا.. أعرف أن الأمور تتغير.

- لا تكوني قاسية على نفسك. أنت شابة صحيحة الجسم.. وهذا طبيعي.. لا؟ تستمتعين بزوج في فراشك.. وفيدلو رانع.. خير..
كيف تقولين؟ مفعم حيوة!

أحست أورسولا بحرمة الخجل تنزو وجنتها: «أنا لا أظن..»
لكن الكوتيبة كانت مصممة:

- عزيزتي أورسولا.. ساميحيني.. ولكنني اعتقدت تعرفين أنني
ويفيدلو..

وتركت ما تبقى من الجملة الساخنة العبراء في الهواء..
تنحنحت أورسولا التي جفت حنجرتها فجأة: «شعرت بأنك وزوجي..»

- آه.. عظيم.. هذا ما ظنته.. ولكنني لا أظنك توقعين من
رجل مثله أن يكون..؟..
ناسكا؟

- سمي.. ناسكا.

وضحكت عالياً من الفكرة ثم أردفت:

- وبما أن زوجي لم يكن.. قادرًا على المجاملة فقد أصبح من
السهل الوصول إلى اتفاق كهذا.

ارشافت أورسولا شايها:

- منذ متى وأنت تعرفين فيدل؟ كم دامت علاقتكما؟

- التقينا حين كان يسكن في روما قبل وفاة والده.. وفي ذلك
الوقت كنت عروسًا شابة تشعر بخيبة الأمل. تزوجت لأراضي عائلتي
ولأراضي نفسى بطريقه ما.. ولكننى سرعان ما عرفت أن المرأة بحاجة
إلى أكثر من الزراء وللتقب.. وفیدلو كان.. متعاطفًا.. ولكنه تغير
كثيراً في السنوات العشر المنصرمة بل فلننقل تغير كلانا.

- أتفولين إنك كنت عشيقة طوال هذه المدة؟
اتسعت عيناً أورسولا الخضراء واندهولاً وخوفاً.
- وماذا توقعت؟
- أعني حتى الآن.. حتى الصيف هذا.. حتى بعد موت زوجك؟
- ولماذا توقف بعد موت دومينيك؟
سانت أورسولا بصوت مخنوقي: «حتى حين كان فيدل في
باريس؟»

أخذت عيناً الكوتيبة ابتسامة سرية.

- هناك في باريس، الثناك.. وكان على حق ستكونين الأم
المتألبة لأولاده..
تحول قلب أورسولا فجأة إلى قطعة ثلج.. أما لأولاده؟.. إنه
الكلام نفسه الذي استخدمه فيدل.. وكأنهما خططا لهذا معاً.
أردفت رونا: «لهذا لا أريد لك أن تتألمي.. أنت شابة لم تدعوك
الحياة.. وأننا متأكدة إنك كنت عذراء قبل زواجك من فيدل..
صدقيني، فيدل يحترم مسؤولياته وينفذها».

لاحظت شيئاً في عيني أورسولا فصمت، ثم أضافت:
- سبكافنك كونك زوجته وأم أولاده مدى الحياة..
وأشارت إلى الفيلا، ثم إلى البحيرة والجبال:

- ولكنك تحظين إن خلت نفسك قادرة على الاحتفاظ بفيدلو
لنفسك.. فبعدما تمر بهجته الجديدة بك فسيطلع إلى مكان آخر..
عندما يحين وقت تدبير أمر علاقة غرامية خاصة بك..
صمنت أخيراً لأن أورسولا ضربت فنجانها بالصحن فوق
الطاولة.. واحترق الغضب الأحمر في عينيها:
- وستكونين بلا ريب سعيدة عندما يحصل ذلك لستردي علاقتك
مع زوجي؟ سيدتي الكوتيبة من الأفضل أن ترحلـي..

سألت بدهشة: «كيف عرفت أنه هناك؟»

هز كتفه وتمدد على مشفته ينظر إلى أصبع قدمه الكبيرة
ـ أنت من قلت ذلك منذ يومين

ـ هل أخبرته حقاً؟ تشك في ذلك.

ـ إذا كنت تشتبئين إله، فأنا مستعد.

ـ مد يده يمسرها على ذراعها. صفتت يده بسكين كانت تحملها
وصاحت به:

ـ ريكو دوريانو!

صرخ وكأنه يتآلم ثم تلوى على الأرض مصدرأ ضجيجاً مرتفعاً..
وبعد ذلك راح يقهق سائلاً عن رأيها بشأن القيام بزيارة على مركبها؟

قالت معتبرة: «لست سباحة ماهرة».

ضحك بسبب انعدام ثقتها به ثم قال إن الرحلة ستكون لطيفة، وإنه
مستعد إن وقع حادث أن ينقدرها ويحملها إلى كهفه السري حيث
سيعيشان سعيدين. ضحكت على خياله الرومانسي متسائلة عن سبب
تضييع وقته هنا معها.

أخيراً وافقت على مرافقته.. وكانت رحلة عظيمة.. في البدء مال
المركب بطريقة مخيبة وحين لاحظ ريكو اضطرابها سارع إلى إنزال
الأشرعة حتى سار المركب بشكل مستقيم.. ولكنه لم يصطحبها إلى
مكان بعيد.

سألته أثناء الرحلة عما إذا كان ينوي المشاركة في السباق هذا
الموسم فتردد بالإجابة ثم قال إنه سبتشري مركاً جديداً عما قريب.

عندما عادا إلى الشاطئ، قالت له: «كانت رحلة رائعة».

ـ لقد سرتها الرحلة.. لكن.. ماذا؟ إنها غير متأكدة من شيء..

ـ فقد رأته تارة متذمِّلاً إليها وطورأ نادماً على وجوده هنا.

ـ وفدت أورسولا تنظر إليه وهو يصرخ ولكنها شعرت بالضياع..

ـ يا ابتي العزيزة.. هل قلت شيئاً كهذا؟ هدئي روحك.. قد لا
يشرد قيدلو قبل سنة، أو سنتين.. وأؤكد لك أنتي لست على استعداد
للانتظار طويلاً.. تعالى.. لقد أضمننا وقتاً طويلاً.. ابن هي لاتحة
الضيوف؟ سأخبرك بعض المعلومات عنهم.

ـ أحست أورسولا بحواسها مخدراً فأعطيتها بخصوص اللاتحة،
لتصفي إلى ما تقوله.. أخيراً، وبعد طول انتظار، جاء ديلغي يقول إن
البيخت جاهز ليقل الكونتينية إلى البر..

ـ ولم نقاش أمر الطعام بعد أو أمر ملابسك.. ولكننا انفقنا على
الموعد.

ـ ودت أورسولا تذكرها: «إن كان ذلك يناسب قيدل».
ـ ضحكت رونا: «يجب أن يكون كل شيء بالطبع مناسباً لقيدلو».
ـ حضنت أورسولا مودعة وقالت إنها أمضت وقتاً جميلاً وهذا مالم
شعر به أورسولا أبداً.
ـ كاد الفجر أن ينبلج قبل أن تنطف في نوم قلق، متوتر.. نوم شابه
صورة رونا في أحضان قيدل.

ـ صب ريكو لنفسه مزيداً من العصير ونظر إلى جانب وجه أورسولا
الشاردة.. كانا قد أنهيا لتوهما غدائهما.. بالأمس قررت عدم تلبية
الدعوة ولكن بعدما ما كشفته الكونتينية، وبعد تلك الليلة المضطربة
قررت العكس.. أليست هذه هي العلاقة التي ستقدّها إن نفذت رونا ما
تريد؟

ـ قال ريكو: «أنت صامتة».

ـ كنت أفكـرـ

ـ هل كدرك أحد؟

ـ لاـ

ـ أتساءلين عما يفعله زوجك في قيينا؟

وكأنما صلتها الوحيدة بالعالم الخارجي تنسأ بعيداً عنها.
راحت تتجول متوجة طريقاً وغرة للوصول إلى البيت. أخيراً
وصلت إلى سقيفة المراكب قرب الرصيف، وتساءلت عما إذا كان
هناك قارب صغير تستطيع أخذة إلى الخارج بنفسها. ولكن القوارب
جميعها كانت في الداخل في مكان مغلق. بحثت عن المراكب فلم
تجده، ربما يغط في قيلولة ممتهنة. نظرت إلى الرصيف والمراكب
والى الفنادق والكنيسة وإلى الناس البعيدين جداً فتساءلت لماذا تشعر
بأنها واقعة في فخ.

استقبلها دileyي أمام الباب قائلاً إن قيدل اتصل ساعة الغداء ليقول
إنه عائد هذه الليلة ولكنه طلب لا تنتظره.
ظلت رغم ذلك مستيقظة إلى ما بعد منتصف الليل وكانت تنتظر
 بشوق رؤيته من جديد ولكن رافق شوتها فلق وقلة ثقة بزوجها وما
السبب إلا رونا وأحاديثها. ها هي تحس ب حاجتها إلى قيدل الذي قريرد
 منه أن يبعث في نفسها الطمأنينة بشأن حبه لها.
 سالت أورسولا دileyي الذي دخل إلى غرفة الجلوس ليتأكد من
 إغلاق النوافذ والأبواب الرجاجية.

- أنتظرا عادة حتى هذا الوقت المتأخر؟
 قال لها إنه لا داعي إلى أن ينتظر أي منها أكثر من ذلك لأن قيدل
 لا يعود أحياناً قبل الرابعة أو الخامسة صباحاً، وهكذا ذهبت على
 مضمض إلى النوم.

كان الصباح يرسل أشعته حين استيقظت.. مدت يدها آلياً إلى
 السرير العريض فإذا الغطاء أملس.. إنه ليس هنا!
 لا شك أن حادثاً ما قد وقع له. جلست أورسولا مذعورة. هل
 تحطم طائرته الصغيرة في الجبال.. لماذا لم يوقفها أحد؟
 كانت في منتصف الطريق إلى الباب عندما تذكرت فجأة غرفة نومه

ال الخاصة. هناك أمل..
 جست أنفاسها مذعورة. سارت على أطراف أصابعها عبر غرفة
 الملابس المشتركة، ثم فتحت الباب بهدوء. نظرت إلى الغرفة ثم
 شعرت براحة عارمة بل شعرت أنها توشك على الإغماء. كان قيدل
 هناك مستلقياً على معدته، أحيا منظر كتفيه، وظهره العريضين، ذكرى
 جههما العميق.. وفي هذه اللحظة بالذات.. عادت كلمات رونا
 لتعذيبها: «لا تخالي نفسك قادرة على الاحتفاظ بقيدلو لك وحدك مدة
 طوبلة».

وقفت بالباب تنظر إليه وتفكيرها يعذبها وشكوها تقتلها. لماذا
 تزوج بفتاة نكرة مثلها؟
 سمعت حركة في السرير، وكأنه أحس فجأة بوجود شخص ما..
 تراجعت أورسولا بسرعة لأنها تعلم أن عليها الابتعاد.. والتفكير..
 ولكن الباب لم يكن مغلقاً وراءها حين رأته يتقلب في فراشه
 متمنياً بتعاس:
 - رونا.. رونا...؟

* * *

- أعرف كل شيء عن علاقتك برونا دوراليس.. منذ خمسة أيام.. ألن نسألني ما إذا كنت حاملاً؟ لستريح من إزعاج نفسك بي!

ترفقت شفتاه غضباً وقال:

- لم يحن الوقت لتعزفي.

- لكنك لن تذكر سبب زواجك بي.. أليس كذلك؟ ألم تزوجني من أجل إنجاب الأطفال لك.. رد على.. رد على أهذا السبب تزوجتني؟

ارتدى عنها فحدقت إلى ظهره المستقيم.. خلل أصابعه الطويلة في شعره الأسود.. الآن لا يدري نحسان وضعيفاً.. بل قوياً وعدوانياً.. عاد ذلك التعبير الحاد إلى صورته:

- لولا رغبتي فيك أمة لأولادي لما تزوجتك.. استدار يواجهها وعيناه الزرقاوان باردقان:

- أعتقد أنني قلت لك هذا في باريس..

رفقت أورسولا رأسها:

- وهل كنت تظن أنني سأكون لك آلة إنجاب فيما عشيقتك بالنظر لك على مسافة نصف ساعة؟

- تونقي عن هذا أورسولا! لا أسمح لك بمكالمتي بهذه الطريقة.. بكل تأكيد! طشتني سأجلس في المنزل ساكتة.. حسناً.. عليك أن تحسب حسابي! فلن أبقى هنا لأكون مثار ضحك أهالي البلدة.. سأرحل فوراً.

تحرك بسرعة فوق السجاد السميكة.. يمسك ذراعها ويكلد يرفعها عن قدميها:

- لمن شتعل لي هذا.. لمن تركتني أبداً..

في عينيه شيء مخيف، شيء أبعد بكثير من كبريات عائلة

٧ - ضاعت في عالمه

اندفعت أورسولا إلى الغرفة صاحفة الباب بقوه قائلة:

- لا.. لست رونا.. هذه أنا، أنتذر! لقد تزوجتني في لحظة ضعف، منذ خمسة عشر يوماً.. ولكن لا تقلق بشأن الكونتيسة فهي تكاد تعيش هنا في هذه الأيام.. وأنا واثقة أن المياه ستعود إلى مجاريها بینكمما في وقت قريب..

- أورسولا..

لكنها لم تنتظر، بل هرعت من الغرفة حتى قبل أن يرمي الغطاء عنه وبقفر من السرير.. ركضت من غرفة الملابس إلى غرفتها ولكنه كان وراءها يمسك ذراعها.. تلقت لتسلي من قبضته.. حاول ثانية: أورسولا حبيبي؟

كان غاضباً ولكن غضب ممزوج بالتلسلية: «لم أكن أعني..» ارتدت عنه ممسكة بمقدمة روبيها: «بالطبع لم تعن.. إنها غلطة سخيفة.. لا تقلق.. فانا أعرف كل شيء!»

- كل شيء عماذا؟

كان على وجهه عدم الرضا، لا.. ليس هذا ما يتوقعه من زوجته.. لقد اختار زوجة صغيرة عديمة الخبرة مشغوفة به.. ويتوقع منها الخضوع بهدوء، فيما يتبع هو مغامراته العاطفية المجنونة.. هل رونا هي الوحيدة؟ ردت بجهقاء:

قال ببرود: «يتوعد المرأة أموراً كثيرة ولا يحتملها جمعبها»
أحست أورسولا بالانزعاج من هدوئه، فالتنفس وسادة ضربته
بها

- خنزير قذر! هل ستدعى أنها لم تكن الوحيدة؟
رمي الوسادة إلى الأرض.. ودنا منها خطوة وشققته تلتويان بشكل
يندر بالشر.. وقال:

- عشر سنوات وقت طويل.. ومن الطبيعي أن يكون هناك
مناسبات أخرى..

- آه، طبيعي.. حسناً.. قد يكون هذا أمراً طبيعياً بالنسبة لك.
لكن ألم تفكّر قط في الزواج بها؟
لاحظت أن من الجنون أن تدفع الزوجة عن حق العشيقه..
ولكنها مضطّرة للغوص حتى الأعماق لتعرف مدى علاقته بروتنا..
لماذا لم يجد فيها أمّاً مناسبة لأولاده؟ ولماذا تحس أنها ناقشـا أمر
ضرورة زواجه.. وأنهما خططا لهذا معاً؟.. أيفـر هذا سبب زواجه
من نكرة ثافية؟

- فكـرت طبعـاً في الزواج بها حتى قبل أن تصـبح حـرة.
اكتـشفت أورسولا أنـهـاـ الرـدـ لمـ يكنـ الرـدـ الـذـيـ تـوـعـدـهـ
ـإـذـنـ،ـلـمـاـذـاـلـمـتـزـوـجـهـاـ؟ـأـنـاـوـانـتـهـأـنـاـنـسـبـلـكـمـنـيـزـوـجـهـ.
ـأـمـسـكـبـهـاـ،ـوـهـبـتـشـقـقـهـبـوـحـشـيـةـعـلـيـهـاـ.
ـوـتـعـارـكـاـ،ـأـورـسـوـلاـتـرـكـلـوـتـصـحـبـهـلـيـقـوـفـلـكـنـهـكـانـتـكـمـ
ـتـضـرـبـدـبـابـةـمـصـفـحةـ.ـكـانـضـحـمـاـقـرـيـاـثـلـمـتـلـثـتـأـنـشـرـتـبـجـسـمـهـاـ
ـبـمـيلـإـلـيـهـ.

قال غاضباً: «أسأول لك لماذا تزوجتك؟
تحشرجت أنفاسه في حلقة متزجـجـةـبـأـنـوـنـرـغـبـةـوـلـفـضـبـ.
ـوـرـمـاـهـاـفـوـقـالـرـسـرـيرـوـوـقـفـفـوـقـهـاـيـحـجـبـجـسـدـهـنـورـالـشـمـسـعـنـهـاـ.

زاراكوشـيـ العـيـقـ.ـكـانـشـيـاـوـكـانـهـغـضـبـمـمـيزـخـاصـ،ـلـأـنـهـاخـتـارـ
ـرـوـجـةـسـتـجـرـرـعـلـىـالـحـاقـالـخـزـيـوـالـعـارـبـ.

ـصـاحـتـمـحاـوـلـةـمـقاـومـتـهـ:ـ«ـالـسـتـسـجـيـتـكـ»ـ.

ـرـدـبـصـوتـمـرـجـفـ:ـ«ـالـسـتـسـجـيـتـيـبـلـزـوـجـتـيـ»ـ.

ـهـذـاـلـاـيـعـطـيـكـالـحـقـ.

ـبـلـيـعـطـيـنـيـكـالـحـقـأـورـسـوـلاـ.ـلـقـدـمـرـتـسـتـأـيـامـ.

ـتـغـيـرـتـلـمـسـةـيـدـيـهـفـصـاحـتـ:ـ«ـلـاـ»ـ.

ـبـلـيـ!

ـأـنـتـلـاـتـرـيـدـنـيـأـنـاـبـلـتـرـيـدـهـاـهـيـلـأـنـكـتـفـوـهـتـبـاسـمـهـاـعـنـدـمـاـ
ـاـسـتـقـيـظـتـ.ـحـسـنـ..ـلـاـبـأـسـ..ـاـذـهـبـإـلـيـهـاـ..ـوـإـلـيـكـأـنـتـوـقـعـوـجـوـدـيـ
ـهـنـاـلـدـىـعـوـدـنـكـ.

ـجـذـبـالـرـوـبـعـنـكـتـفـيـهـاـ،ـوـأـخـذـيـدـفـعـهـاـنـحـوـالـسـرـيرـ.

ـأـنـتـلـاـتـعـيـنـهـاـ.

ـلـاـ..ـقـيـدـ..ـلـاـيـمـكـنـكـأـنـتـفـوزـبـكـلـجـدـالـيـقـوـمـيـتـنـاـبـهـذـهـ
ـالـطـرـيـقـةـ.

ـأـنـاـلـاـأـحـاـوـلـالـفـوـزـبـجـدـالـ..ـأـرـيدـكـ..ـغـبـتـعـنـكـطـوـالـ
ـالـأـسـبـوـعـ.

ـشـدـتـبـكـلـقـوـتـهـاـوـنـحـرـرـتـهـ.

ـأـجـلـوقـتـكـانـكـاـيـاـلـتـسـانـيـ،ـوـلـتـظـنـأـنـيـعـشـيقـتـكـاـ
ـلـمـتـقـلـعـشـيقـتـكـالـسـابـقـةـلـتـرـىـمـاـإـذـاـكـانـسـيـصـحـلـهـقـوـلـهـاـ.

ـوـلـيـفـعـلـ.ـبـلـقـالـبـقـوةـ،ـوـهـوـبـوـجـهـهـمـعـرـفـاـبـمـبـرـزـاتـغـبـهـاـ:
ـكـنـتـنـصـفـنـائـمـ..ـوـلـقـدـنـدـمـتـعـلـىـهـذـهـالـغـلـظـةـ..ـأـنـاـوـرـوـنـاـمـعـاـ
ـمـنـذـفـرـةـطـوـيـلـةـ.

ـأـجـلـ..ـمـنـذـعـشـرـسـنـاتـبـالـتـحـدـيدـ.ـوـهـوـوقـتـيـدـفـعـالـرـجـلـ
ـالـمحـترـمـإـلـىـالـزـوـاجـبـهـاـحـالـمـاـتـرـمـلـ،ـوـهـذـاـمـاـكـانـتـتـوـقـعـهـ.

وامثلات أحاسيسها وتفكيرها برائحة رجولته العدوانية.

- ابتعد عنِي .. فانا لا أريدك قيداً!

لمعت عيناه وهو يتلقى ضربة أخرى منها:

- كاذبة! أنت تريديني أورسولا الآن ودائماً .. لا تتظاهري ..

نلوت، صاحت وقاومت، ومع ذلك لم تجد مقاومتها نفعاً.

ولكنها لم تسسلم .. ولن تسسلم أبداً .. هكذا تقليباً وتعاركاً. التوبوا

معاً، وتشاباكاً حتى أصبح شعرها الأشقر الأملس وكأنه أسلاك شائكة.

في أتون غضبها عصته فتراجع بصرخ غاضباً، يمسح فمه بمؤخرة

يده ويقول بغضب، وهمس بارد:

- ما كان عليك ..

استغلت انشغاله بألمه وتقلبت حتى نهاية السرير. ولكن يده

امتدت لتعيدها إلى حيث كانت، وشاهدت بذعر خيطاً من الدم في

المكان الذي عضته فيه .. قال لها بوجه أبيض شاحب:

- ستعذرلين الآن .. وقبل أن تنحركي من هذا السرير.

رمت شفتيها بتمرد فكرر آمراً: «أورسولا».

- لا .. فانت المخطىء.

لكتها كانت ترتجف خوفاً، فقد تعدى كل شيء حده فجأة. لم
تكن تقصد أن تؤذيه ..

أمسك كتفيها يهزها: «لا تدفعيني إلى ارتكاب ما نندم عليه فيما
بعد».

احست عبر أصابعه بحرارة الغضب الذي يحرقه، لم تعامل امرأة
قط قيداً كما تعامله هي الآن من قبل .. وإذا تجرأت فسيكون
عقابها .. ماذا؟ ابتلت ريقها بصعوبة، وحاولت أن تخالص من
قضته. ولكن صوته صدمها:

- أورسولا ستعذرلين ..

فجأة تهادى وجهها وقالت متراجعة:
- أنا آسفه .. لم أقصد ..
لمست وجهه وفجأة زال الخصم فتعلق كل منهما بالآخر وراح
قيداً يتنتم باسمها، ويقول:

- كان عليك أن توقظيني هكذا .. في غرفني .. في سريري.

- وأنت .. كان عليك المجيء إلى السرير .. سريرنا حالما عدت
إلى المنزل.

سيكون كل شيء على ما يرام. كانت يداه كالناعيم على بشرتها،
يداعبها ويعذبها بهما. آه، ما أشد رغبتها فيه.

قال مداعياً: «اللهذا كنت غاضبة؟»

قالت بإصرار: «لا، لم يكن هذا السب».

سألها: «أما زلت تریدين معرفة سبب زواجي بك؟»

ردت هامسة تغمض عينيها متربقة:

- أجل .. أخبرتني ..

قال بيضاء وهو يقترب منها أكثر فأكثر:

- هذا .. هو .. السب ..

وضاعت في عالم حبه.

فيما بعد، ومن بين غبيوبة النعاس الخفيفة، داعبت شعره بأنامل
مرتعشة قدمت: «أيرد ما حدث بيتاً الآن على سؤالك؟»

همست: «أجل».

لكن رغم الدفء الذي تشعر به كان هناك شيء من التوتر والريبة.

هل تزوجها لأنهما مميزان في علاقتهما أم لا تحمل منه؟

حملت أورسولا معها ذكرى هذا اللقاء الدافئ، وكأنها درع
بحبيها من برد الرياح التي تهب من الجبال .. لم يكن هناك رياح
بالفعل .. فقد ظلت حرارة شهر آب ولكنها كانت بحاجة إلى عزاء

وحمادة في هذا الوقت الغريب الذي عليها فيه التكيف مع حياتها الجديدة.
في أحد أيام شهر آب تلقت رسالة من إيماء مرفقة بقصاصة من صحيفة تحمل صورتها وفبدل يوم زفافهما.
نظر فبدل إلى القصاصة عندما مررتها إليه عبر مائدة الطعام وبدا مستغرباً.

سأل بيرود: «أهي على ما يرام؟».
لم يكن يتكلم عن إيماء.. في الواقع لم تسمعه يتكلم بسوء عن أحد.. بل كان يسجل عدم موافقته في صمت ملموس..
لا أراها مستمتعة بإقامتها في نيس.. تقول هنا إنها بدأت
ناماً.. وتفكر في العجيء إلى «البن دقية».
رفعت نظرها إلى فبدل، البن دقية قريبة جداً من هنا.. قال لها
بهدوء: «إن رغبت في دعوتها إلى منزل فادعيها.. فهي ما تبقى لك من عائلة.. لن أنسى هذا..
لكنها تركت المسألة تسقط، فهي لا تزيد إيماء في «مونتي فيرنو»..
وهكذا أكملت الحياة دورتها.. كان فبدل يذهب إلى ميلانو ويعود ولم تره إلا مشغولاً في دوامة أمبراطورية المال التي صنعها بنفسه.. لم يذكرا إيماء بعد ذلك.. وحاولت أورسولا العيش كل يوم ببيومه.. وفي أواخر آب عاشت لحظات ذهبية.. كان يمد إليها يده وهو نائم ليلاً وفي بعض الأحيان كانت ترفع رأسها إليه فتجده عينيه مستقرتين عليها وفي إحدى المرات وفيما كانت ترسم بحث عنها ولما وجدها قع بالبقاء هادئاً يراقبها.. سألهما مرة: «أخبريني المزيد عن لوحات أمك..
ووصفت له اللوحات الستة التي لن تراها أبداً.. ثم سالت:

- كان ديلغي يسألني عن أمي منذ أسبوعين.. هل أخبرته أنها كانت رسامة؟
أشاع بوجهه: «ربما، ماذا قال؟»
- لا شيء..
قبل فمه رأسها..
- أنت شابة موهوبة جداً.. وأنا فخور بك..
وعانقا ونسيا كل شيء حولهما.. ثم سافر فبدل من جديد سبعاء وراء صفة كبيرة، وكان أن أمضت ليالي طويلة بمفردها في التراس.. وطالت الأيام الطويلة الحارة وكان عليها تنظيم الحفلة مع رونا التي قالت لها يوماً:
- يا ابنتي الحلوة.. ستشمل الحفلة طبعاً العاباً نارية.. أليس كذلك فبدل..؟ قل لأورسولا إن هناك العاباً نارية مثل هذه المناسبة..
رفع فبدل يومذاك رأسه عن الصحيفة وقال إذا أرادت أورسولا العاباً نارية فليكن ذلك.. كان يتكلم بصوت متحفظ مع الكونية حين كانت تأتي للزيارة التي أصبحت رتبة ومتكررة.. كانت نيرة صوته وحدها تجعلها تصدق أن لا شيء يجري بينهما.. ولكن الإيطالية الفتاة لم تكن تلاحظ هذا.. وفيما كانت تعثث مع فبدل بعد ظهر ذلك اليوم أحست أورسولا بالغضب التدريج يتضخم من جديد في داخلها.. على فبدل أن يضع حداً لروننا.. وليس من العدل أن يعرض زوجته للإزعاج بسبب وجود عشيقه السابقة ولكن هل هناك أحد سواها ليقدم لها النصح؟ قالت لها في زيارة أخرى:
- الرجال كلهم سواء.. لا يرغبون بالتورط في الشؤون المنزلية.. لكنهم يتوقعون حتى من زوجاتهم الحديثات العهد بالزواج أن يدرن منازلهن بكفاءة.. أبطئنون أتنا خلقنا مثل هذه الأعمال فقط؟
ابتسمت ابتسامة جعلت أورسولا تصر على أسنانها..

- بالطبع لا .. متى عدت؟ لم أسمع صوت البخت.
- متذوق قصير . تبدين شاحبة .
- هراء! سأه Yusn حالاً .
قال بصوت هادئ ثابت:
- لا .. أورسولا .. اخلعي ملابسك ونامي جيداً .. تعالى .
قبلته : «لا» .

- ولمَ لا؟

لفت ذراعيها حول صدره: «الأنك متعب وعليك أن تخلد إلى الراحة».

أمسك بيديها: «أرجوك أورسولا، تناولي العشاء ونامي». ثم ساعدها .. لا .. بل أجبرها على خلع ملابسها. فحاولت أورسولا الاعتراض مجدداً .

- لكن .. لدينا ضيوف.

- رونا لا تعتبر نفسها ضيفة .. وإن قلت أنا إنك بحاجة للراحة فعليك أن تستريح . لقد أنتبعت نفسك كثيراً إلا إذا ..

- إلا إذا .. ماذا؟

- لا شيء ..

جلست تأكل العشاء .. فأردف:

- الآن .. كوني طيبة وفكري في الغد. سأعود فيما بعد، وأنتوقع رؤيتك نائمة .. أتعديني؟

أحست بالارتباك ولكنها كانت مسروقة من فلقه عليها، مع أنها غير واثقة من أسبابه .. فبعاها سمعتني وحده مع رونا . خرجت من السرير تنظر إلى نفسها في المرأة .. لم تكن تبدو شاحبة، ربما متعبة قليلاً .. عادت إلى السرير، وأعادت الصبيحة إلى ركبتيها .. لقد كانت

عندما أحضر قيدل الخياطة من ميلانو أرادت أورسولا أن تصيح به: «اسمع! أنا قادرة على الذهاب إلى ميلانو لشراء فستان!» لكن مثل هذا لا يحدث في منزل آل زاراكوتشي .. حين تمنت بما هو أكثر تواعضاً بدت الدهشة على قيدل الذي قال إنها لا تتصور مدى الحرارة في ميلانو.

بدأت الردود على الدعوات تتدفق بعد أيام من إرسالها. سبب العديد من الضيوف ليتهم هنا .. لذلك يجب تجهيز غرف الضيوف جميعها .. مع مرور الوقت أصبحت حياة أورسولا تدور حول لائحة أو أخرى .. ثم جاءت أزمة مقدمي الطعام، ثم الكهربائيين الذين لم يصلوا إلا قبل يوم واحد من الحفلة لتزيين الشرفة بالأنوار .. وصل فستان أورسولا قبل وقت طويل .. ولكنه كان طويلاً جداً فردهه إلى الخياطة ولكن رونا غضبت ولم تفهم أورسولا ما شأنها هي .. كانت في بعض الأحيان تخرج في نزهة حول الجزيرة .. وكثيراً ما التقت ريكو الذي كان يأتي دائمًا عندما يكون زوجها غائباً وهذا أمر غريب.

عاد فستانها قبل الحفلة بيوم فحملته إلى غرفتها لثلا يراه أحد قبل الوقت المناسب. قبل الحفلة بيوم انتقلت رونا للسكن في الفيلا .. أما قيدل فلم يكن قد عاد حتى الآن. قالت لها رونا:

- تبدين متعبة أورسولا .. عليك النوم باكراً .. يجب لا تظهر العروس في الحفلة متعبة.

وهكذا دفعت أورسولا إلى غرفتها، والحق يقال، لقد كانت أكثر من سعيدة للخلود إلى النوم والراحة.

حمل قيدل العشاء إلى غرفتها .. فأمسكت نفسها على مرفقها:

- لا داعي لهذا حتى .. سأنزل لتناوله.

لمست أصابعه وجهها: «هل أنت مريضة؟».

وهكذا حين بدأ الضيوف بالتوارد بعد الظهر، استطاعت أن تستقبلهم بكل ثقة بالنفس، لأنها أورسولا زاراً كوتني.. العروس الجديدة.. وما كان هناك حفلة لولاهـ. جاء بعض الضيوف من ميلانو.. وهم بالطبع سيستون ليلاً لهم في الفيلا.. ولكن معظم الضيوف كان من نزلاء الجبال.

باللها من فوضى! الساعة تجاوزت الخامسة والطفل ما زال حاراً.. أضيئت الأنوار ثم شاهدت الكهربائي مع سلة مليئة باللبلاب الملونة، يبدل على الفور ما احترق.. ثمة عمل كثير.

تركت الضيوف يستمتعون، فلا شيء يمكنها القيام به وشعرت بأنها طفلة شريرة مزعجة. سللت إلى الرصيف، تجلس على عوارضه الخشبية واضعة قدميها في الماء، متذكرة حفلات أخرى متواضعة كانت فيها لا ترندى إلا الجينز الضيق ولا تأكل إلا السباغيتي أو البيزا، في مطبخ صغير معظم أدواته متعارة.

ولكن ما مضى قات وعوضاً عن شوارع لندن الخلقة المكتظة أو شوارع باريس، ها هي الآن في جزيرة رائعة تحيط بها مناظر خلابة.. وعوضاً عن الشقة الصغيرة ها هي تعيش في منزل ضخم جميل مع أعظم رجال في العالم.

تحققت بصوت عال وهي تضيف: «مع أعظم فستان في العالم». وفدت ثم دشت صندالها في قدميها متوجهة الوجه فلا الحرير يهمها ولا الجوادر بل قيدل وزواجهما..

عرفت أورسولا أنها لن تخسر قيدل أور زواجهما بدون قتال!

* * *

مجونة عندما دفعت نفسها إلى تنظيم هذه الحفلة حيث جعلت بذلك رونا محور الحفلة وعصيبها فهي لم تتفكر كخروف أبيه عن القول «نعم رونا.. لا رونا» في الغد سيعج المنزل بأشخاص لا تعرفهم.. دفعت عنها الصبيحة ونامت. وفي الصباح كانت شهورتها إلى الطعام مفقودة وفي الواقع كانت تحس بالدوار وعزت ذلك إلى التوتر الذي يسبق حفلة كهذه. نكأن أن أجبرت نفسها على تناول الفطور وعندما شعرت بأنها أفضل حالاً.

خرجت رونا من غرفتها تقول:

- ما كان عليك تركي أيام حتى هذا الوقت.
 أمسكت أورسولا بكوم العصير، وردت على ما قالته لها صاحبة الزهور.. كانت فتاة أميركية لطيفة.. قالت الأمريكية:
 - أليس هذا أجمل مكان في العالم؟ أعتقد أنك لن تعتادي عليه أبداً.. أعني، إنك لن تشعرني بأنه مألف.

هزمت أورسولا رأسها وهي تكاد لا تسمع كلام الفتاة، لأنها كانت تحاول يائسة أن تسمع ما يقوله قيدل ورونا.. إضافة إلى محاولة تذكر متى عاد قيدل إلى الفراش. ولكنها لم تستطع سامع سوى صحفة الكوتنيسة الفاتنة، أما موعد عودته إلى فراشها فلا تذكره بل كل ما تذكره أنها استيقظت مرة ولم تجده، وفي الأخرى وجدته.

كان جسد رونا يميل إليه، ورأس قيدل يقترب منها أكثر فأكثر.. وكانتا ليلاقنقط همسة سرية. إنها معاً يخلقان صورة رائعة لمحبين.. فجأة لم تعد تستطع الاحتمال فقالت لفتاة الزهور:

- تعالى أريد رؤية كيف زينت غرفة الاستقبال.
 عندما انطلقنا لم تلتفت أورسولا إلى الوراء.. فجأة قررت شيئاً بشأن ما لم تكن تفك فيه أصلًا. غداً بعد الحفلة ستم تغيرات عديدة.. وعلى قيدل أن يختار إما أن تذهب رونا أو تذهب هي!

حالها اليوم. بدا وكأن هالة جديدة تحبط بها.. هالة لاحظها الرجال وجذبهم إليها طوال الأمسية.. أنيم الرقص في الخارج على الشرفة تحت الأنوار الملونة، وزاد من سحر الموقف أنوار البلدة المتلاطلة على المياه.

انشغلت أورسولا كثيراً كونها المضيفة وهذا ما كان عليه حال قيدل أيضاً ولكنها أخيراً ذهبت لتضع كوبها على الطاولة، وبقيت لحظات بمفردها.. وما هي إلا ثوان حتى كان إلى جانها، يمسك مرفقها ويهمس:

- فلتبتعد من هنا

تللا بدون أن يراهما أحد، نزواً فوق درجات الشرفة، ومن هناك إلى الشاطئ ثم أخذ يقودها إلى ممر سري عابق برائحة أزهار الليل. مراً تحت دالية ضخمة تعجبهما عن الأنوار وهناك ضمها بكل حنان بين ذراعيه وقبلها. ثم تتم:

- أنت أجمل امرأة الليلة.. أتعرفين هذا؟
تهدت تrepid أن تصدقه. تجولت شفتاه عليها فهمست: «إنها حفلة رائعة فعلاً. شكر لك».
أبعدها عنه قليلاً: «ليت جميع الحاضرين يختفون.. إلى أين نستطيع أن نذهب؟»
ترنحا معاً وأحسست بتوتر جسده المألوف: لا...
ـ لماذا؟
ـ لأن..

تناثرت إليهما أصوات من الشرفة فوقهما. فهمس: «لا بأس.. لن يرانا أحد من هنا». لكنها لم تكن واثقة فراح يعانقها بشغف حتى اسل الفستان بعيداً عن كفيها.

٨ - الاختيار

كانت يائسة غاضبة غضباً يفوق التصور. نظرت إلى ما حولها ثم التقطت وسادة رمتها نحو قيدل:

- اخرج من هنا أخرجاً كيف تجرؤ على المجيء الآن! أديبك فكرة كم الساعة؟ لا تقل إنك كنت تتحدث إلى ضيوفنا.

التقطت وسادة أخرى ورمته بها كذلك:

- هيا.. اخرج أنم في غرفتك..! أليس هذا ما تريده حقاً؟
نظرت إلى ما حولها ثانية بحثاً عما هو ثقيل لترجمته به. هذا يكفي.. لقد أنهى كل شيء الآن.. قاتلبه! هه! نقاتلني معه!
ـ أورسولا هل فقدت عقلك؟
بداء تعباً، تعباً

- ماذَا يعني هذا التصرف؟ أتريدين أن توقظي من في المنزل؟
 أمسكت بقطاء السرير وكأنه قادر على حمايتها ثم ردت:
ـ لا تحاضر في بهذه الطريقة. أعرف أين كنت.. رأيتكم مع رونا وقت الألعاب النارية. إياك أن تذكر!

ما زال الذي حدث حياً في خيالها. كانت الحفلة في أوجها والجميع يهتئونها على نجاحها الرائع.. وكان المنزل والشرفة يungan بالضيوف وضحاكتهم. اندرست بيهم بثقة. كان شعرها رائعاً فتقد استطال مؤخراً وتدرج بطريقة ساحرة. عرفت أنها لم تكون قط جميلة

- فيدل!

كان توسلها مزاجاً من الضحك والارتباك والتوييج.

- قد يأتي أحد ويرانا.. أوه..

رد بصوت عميق: «لن يأتي أحد».

- فيدل حبيبي، لا أستطيع التحمل.. هذا غير منصف.

قال بسرعة: «تعالى ستقصد سقيقة المركب».

قاومت لتعيد الفستان إلى مكانه: «لا تكن سخيفاً».

يا الله! ماذا إن رأهما أحد الآباء؟

- لا أشير إلى اليخت بل إلى مرکي الكبير، هنا بسرعة!

تهاdat إلى مترفة، تریده وتتوق إليه. آه يا له من جنون!

- رتب فستاني أولًا..

ليس على المضيف والمضيفة الاختفاء بهذه الطريقة.

ثم فجأة توقفت الموسيقى، وتندى أحدهم اسم فيدل.. فهى:

«لا تأبهي، تعالي».

ولكنتها تراجعت عندما تعرفت إلى الصوت: «فيدلوا».

إنها رونا، ثم بدأت تندى بالإيطالية، فلعن وشتم:

- ي يريدون البدء بالألعاب النارية.. يجب أن يتم هذا في متصرف

الليل.

ابتلعت أورسولا ريقها: «آه، يا إلهي!»

- آسف حبيبي، علينا المودة.

- عذلت، أما أنا سألحق بك بعد دقائق.

وهكذا ظلت في الحديقة المظلمة ترت نفسها وتهدى مشاعرها.

كانت تهم بالمودة بينما انطفأت أنوار الشرفة، وغرق المكان كله في

الظلام. هكذا بقىت في مكانها تنظر إلى السماء.. ثم بدأ كل شيء:

ألوان ذهبية فضية، حمراء، خضراء.. صواريخ ونجوم مفرقة، مطر

ذهبي.. وتناثرت صيحات الإعجاب «أوه» و «آه»، وكان الجميع أصبحوا أطفالاً. كان كل شيء في الواقع يلمع.. وشققت طرفيها إلى أسفل الدرج. ثم انطلقت مجموعة أخرى من الألعاب النارية لتتفجر في السماء الحالكة. وكان الجميع يتحقق إلى الأعلى إلا شخصين كانوا في مؤخرة الشرفة شخصين بدوا كثيري الاهتمام ببعضهما بعضاً. وتوقف الليل الرهيب دقائق فاستطاعت أورسولا التعرف إلى رونا وفيدل الذي اتحنى نحوها معاً.

انهارت الحفلة كلها بالنسبة لها. فلممت أذيالها وقللت راجعة عناده إلى الحديقة.. هذا يكفي. لقد طفح الكيل! لن تحتاج إلى المزيد من الإثباتات.. فما زال فيدل على علاقة مع عشيقته.. وقد قام بالاختبار بدون أن يدرى.

الآن، وهي حالسة في الفراش ممسكة بالقطاء بجنون تسأله كيف يجرؤ على القدوم إليها في الخامسة صباحاً بعدما كان مع تلك المرأة طوال الوقت.

كان فيدل قد التقى الوسادتين ورميماهما على المعد.

- أنت مرهفته.. لا تعرفين ما تقولين.

لمحت عيناهما الخضراءان يخطورة:

- أعرف ما أقول.. أقول لك أخرج من هنا.. نم في غرفتك!

تحولت خطوط وجهه إلى العداء الشديد.

- حسن جداً.. حملتك ألوى إلى فراشك بسبب التعب ويدو أنتي كنت مخططاً.

- أهذا ما قلت للضيوف؟ عظيم.. إنه عذر مناسب.. حسناً.. لم أكن متعبة، لكنني رفضت البقاء لأنشد ذلك... تلك المهرلة.. لهذا صحبني إلى الحديقة؟ المشكلة أنتي لم أبق في الأسفل الوقت اللازم.. فقد شاهدتكم فيما بعد على الشرفة مع رونا وأنت تعانقها

كان بمقدور أي كان رؤيتكماء.. كف تجرؤ على اصطحابي إلى هنا؟
كيف تجرؤ على إهانتي؟ كف تجرؤ على معاشرتها ثم تتوقع مني
القبول بك في فراشي.
انزع قيد ربطه عنقه، ورمها إلى الأرض، ثم بدأ يفك أزرار
قبصه:

- لا تهميني بإقامة علاقة غرامية تحت السقف الذي تواجد فيه
زوجتي! افترت ذنوبياً كثيرة في حياتي ولكنني لن أفتر شيناً كهذا.
انزع القبص، ثم رماه بعيداً، وصاحت أورسولا ترد عليه:
- لم تتح لك الفرصة حتى الآن.. لا نظن أنك خدعتني بظهورك
بالبرود حين أكون موجودة.. كم مرة تلتقي بها حين تكون مسافراً في
عمل؟ منذ البداية كانت هي.. أليس كذلك؟ في باريس حين سافرت
أول مرة واتصلت بي من روما.. سمعت صوت امرأة.. كانت هي..
أليس كذلك؟ كنت على علاقة معها حتى وأنت تطلب يدي للزواج.

- أنت محقة للمرة الأولى عزيزتي أورسولا.

بدت لكتنه متكسرة.. وكأنه يعاني صعوبة كبيرة في تذكر
الإنكليزية، رفس حذاءه ليخلعه ثم أمسك حزام بنطلونه بيده.
وصاحت أورسولا: «ماذا تفعل؟».

- سأوي إلى الفراش.

- نم في غرفتك.. لن تمضي ما تبقى من هذه الليلة معي.. قيد
زاراكوتشي!

أكمل خلع ثيابه أمام عينيها المذهولتين:
- لقد أوضحت ذلك جيداً.. ولكننا بدأنا شيئاً في وقت مبكر..
شيئاً انظرت الليل كله لأنمه.

- لا..

تحرك كالصاعقة.

- بلى أورسولا.. وفي هذه اللحظة.. لقد انتظرت ما يكفي
أمسك بها وهي تحاول الهرب من السرير.. فصاحت به:
ـ إذن.. عليك العودة إلى رونا لنرى ما تستطيع فعله لك مرة
 أخرى.

ـ آه.. يا إلهي! إنه على وشك أن يضرها!

- أنا لا أريد رونا بل أريدك أنت.. أنا زوجك أورسولا
ـ (زوجك) حان الوقت لتفهمي معنى هذا.

دفعها إلى الوراء على الوسائد، وسجّنها بين ذراعيه.
ـ يا الله! ماذا سيفعل بها؟ ثلث، فاولمت، قاتلت متذكرة أنه فعل
بها هذا عندما عصته ولكن يومذاك تحول غضبه إلى حنان أما اليوم فلن
يحدث شيئاً كهذا، فقد فات أوّان العحنان واللطف.. لقد ضبطته وهي
تعرف الآن أنه غير مخلص، كما تعرف أنه لا يحبها فما هذا إلا مجرد
واجب زوجي..

ـ ابتعد عنِي.. أكرهك!

ولم يُجد تفعلاً قوله.. وفي خضم هذا كله بدأ جسمها المتطلّب
يفرق في لهيّب حبه ويتجاوب.. كانت تقاوم، تقاتل، تركل، تلكم،
ولكن مشاعرها كانت تذوب به حباً.. وأخيراً نجحت في توجيه لطمة
إلى وجهه فهار في ثورة غضب وتغلب على كل مقاومة لدبها.

ـ أيها المتوحش، القذر.. الخنزير..

ضمت قبضتها وأغمضت عينيها بشدة وغضب.. لماذا هو قادر
على دفعها إلى الجنون؟..

غير أنها كانت محقة فلم تجد هذه المرة عنده حناناً أو مداعبة
لطيفة بل كل ما حدث استغلالاً لجسدها ليرضي نفسه.. وهذا كل ما
أمل به تلك الليلة.. وأرادت أن تكرهه.. لقد قاومته، ولن يتكرر هذا
ثانية.. أصبحت غير مميزة بالنسبة له وستوقف كل شيء..

صاحب مجدداً:

«ابعد عنِّي»^١

إلا أنه يعرف.. عرف ما تعني..

صاح صحة انتصار جرفها معه
إلى عالم آخر.. عالم الغفلة والضياع.

عندما فتحت عينها كان إلى جانبها شكل ضبابي مظلم فشهقت
حائنة غير واقفة أين هي، حتى تخيلت أنه قال: «هس، أنت بخير يا
صغرتي»^٢.

وتخيلت أنها تعلقت به ويكت.. ثم نامت مجدداً، وكان هو هناك
ل لكن الدنيا لم تكن واقعة.

تحرك.. ابتعد عنها، ففتحت عينيها المخدرتين المقلوبتين
بالحب.. وهمست: «إلى أين؟»^٣.

ـ إلى غرفتي.

آخرت الجملة الصغيرة ذكرى ما حادث: «ماذا تقصد؟»

ـ طلبت مني أن أنام في غرفتي.. ومن الآن فصاعداً سأناوم فيها.
إنما لا نظني أبداً أن هذا سيؤثر في قدرتي على الوصول إليك. أنت
زوجتي، ولني كل الحق بجسدي. لقد عرضت أمامك نموذجاً لما
سيحدث كلما أردتك.. لن تؤثر في دموعك أو غضبك، فأنت
زوجتي..

كانت نبرة صوته تقطع الجو سكين:

ـ لن أشاطرك الفراش لأن النوم مع شخص ما يقتضي الثقة..
وهذا ما يجب أن تتعلمه.

ـ اتحنى يلقطن ثيابه وهو يتجه إلى الباب:

ـ حين تكونين على استعداد للتحدث كامرأة راشدة تعالي إلى
فراشي.. وحتى ذلك الوقت لن أزعجك أبداً.

ـ تمنت أورسولا عبر شفرين مرتجلفين: «إلا حين تريد أخذ ما هو
حقك»^٤.

ـ بالضبط.

ـ انحنى لها ساخراً: «إلا حين أريد أخذ ما هو حقي».
ـ حقه! حقه!

ـ غاصت في الوسائل بعد رحله تكتب دموعها! اللعنة عليه! تبا له!
ـ عرفت الآن خاصة الآن أنها تحتاج إلى قيد زارا كوشي وأنها تحبه إن
ـ لم يكن بمقدار كبير فأكثر من ذي قبل وبالله من ورطة يائسة!
ـ غادر آخر الضيوف بعد الغداء.. ووقف قيد وأورسولا بلوحان
ـ لهم على الرصيف.. كان يوماً حاراً أرطاً تلبدت فيه الغيوم.
ـ قال قيد بصوت متحفظ: «أعتقد أن جميع المدعوبين قد
ـ استمتعوا».

ـ سارعت رونا تجحيب وتدس ذراعها بذراعه وستند إليه:
ـ بالطبع «كارا» كانت مناسبة رائعة.. إنها أفضل مناسبة
ـ حضرناها.

ـ أبعد يلقطن رأس زهرة ميتة من وعاء:
ـ أنا واثق أن أورسولا تقدر لك مساعدتك.
ـ وصلوا إلى الدرجات المفضية إلى الشرفة فتراجعوا أورسولا إلى
ـ الوراء وهي تشعر بأنها تكره قيد لأنه تركها في هذه اللحظات بالذات.
ـ لا يمكنها شكر رونا ولو فعلت لاختفت!

ـ أعاد الصمت إلى ما يشبه الأبدية.. كان وجه قيد مجهمماً.. فهو
ـ يتوقع اللياقة والأدب مهمماً كانت الظروف.. بعد لحظات قال:
ـ رونا.. هل لي أن أتحدث إليك في مكتبي بخصوص
ـ الاستثمارات التي أردت أن أنظمها لك.. أتعذر علينا أورسولا؟
ـ لا.. لا.. لا.. لن تuderهما.. وتشابكت نظراتها بنظراته..
ـ فتحت فمهما لتجحنج ضارية عرض العائط بكل ما هو لائق.. ولكن
ـ وصول ديلفي قطع عليها ما أرادت قوله.. سمعت الخادم يقول إن للسيد

- أنت مغزمه في التشاوم . مجرد قبلة بين حبيبين سابقين .
ولكنها عرفت أن أورسولا لم تصدقها ، فهربت كتفها مبتسمة مرة أخرى ابتسامة بطيئة ، شريرة . وأستدلت ظهرها إلى مقعدها متقطعة الساقين . ثم قالت بصوت قاس:

- وماذا توقعت حقا؟ لقد رأيت أصدقاء فيدلوا . رأيت من يختلط بهم من مصرفيين وسياسيين ورسميين . ورأيت النساء اللواتي يرافقن أمثال هؤلاء الرجال . . . ومن نساء خلقهن في مثل هذا العالم . فيدلوا بحاجة لي . . . وسيقني دائمًا بحاجة إلى . . . وزواجه بك يزيد من حاجته إلى ولا يخفف منها .

غرزت أورسولا أظافرها في راحتي يديها حتى كادت تصيب الماء .
- إذن . . . لماذا لم يتزوجوك أنت؟ لماذا لست العروس الجديدة في عائلة زاراكوتشي؟ لماذا ، وهو يحبك إلى هذه الدرجة ، نحاك جانباً بعد عشر سنوات . . .

راقت وهي تتكلم كل حركات وجه الكوتنيسة . . . كانت ردة فعلها مهمة . . . وإذا كان هناك غيره ، أو غضب لهجرانه لها ، فهذه هي لحظة ظهورها . لكنها لم تجد شيئاً . بل ابتسمت رونا بسلبية ، وكادت تضحك .

- عزيزتي أورسولا . . . أنت لا تصورين أن فيدلوا هجرني ! إن هذه الفكرة منافية للعقل . . . أنا آسفه . . . ظننت أن السبب معروف بالنسبة لك .

- أعرف ماذا؟
- ألم تعرفي أن زوجي وضع حاجزاً هائلاً دون زواجه . كان رجلاً شديد الشراء وقد أورثني أملاكه شرط لا أتزوج ثانية . وإن خالفت وصيته وتزوجت ألت تركته إلى أولاده من زواجه السابق .
- أتفقددين أن فيدل انتظر وأنه طلبك للزواج؟

مكالمه من لندن . فكان أن ترك المرأة بمنفرد هما . سمعت أورسولا نفساً عميقاً . وقالت بصوت أذلهما ثباته:
- وأنا أود أيضاً محادثتك . . . أنجلس على الشرفة ، أم تفضلين التزه سيراً على الأقدام؟
صحيحك رونا ، لكن عندها السوداين كانوا قلقين .

- بل تجلس .
قالت أورسولا بعدما استقرتا في مقعدين:
- فيدل الحق . . . أنا أقدر فعلاً المساعدة التي قدمتها لي في الحفلة . . . ما كنت لأعرف كيف أبدأ .

- كان هذا من دواعي سروري عزيزتي أورسولا . . .
- ولكن من الأفضل أن تعرفي أنني رأيتك ليلة أمس مع فيدل أثناء الألعاب النارية .

لم تظاهر الكوتنيسة بعدم الفهم .
- إذن لهذا السبب أواجه وجوهاً متوجهة هذا الصباح؟
- لا أظني أرى في الموقف ما يدعو للتسليمة والمرح .
أسود وجه المرأة: «وهل تحدثت مع فيدل بالأمر؟» .
- أجل .

- كانت هذه غلطة .
- لقد كنت عليّ حين قلت إنك لا تنوين انتظار عودة فيدل إليك لأنك كنت تنوين ذلك وتحططين له متوقعة مني مراقبة ما يحدث بيدين مكتوفتين .

- لكنك حمقاء إن تخلت عن كل شيء!
- إذن ، لا تنكري؟
احتاجت أورسولا إلى بذلك جهد كبير لتبدو هادئة ولكنها في أعماقها كانت ترتجف خوفاً مما سمعته الآن . قالت رونا مبتسمة:

اتسعت عينها السوداء وان دهشة:

-طبعاً، إنما ذلك صعب على لاني بزوجي أحسر الكثير.

لوحٍت أورسولا بيديها:

-وماذا عن كل هذا! أليس لديه أكثر مما يكفيهما؟

-عندما تصبحين في مثل عمري ستقدرين قيمة الاستقلال المالي،
وأنا لا أتخلى عنه لأي كان.

اتضحت فجأة أمور كثيرة لأورسولا.. قيدل يحب هذه المرأة
وأراد الزواج بها.. وكيف لرجل مثله أن يتصرف أمام مثل هذه الضربة
النجلاء لكرامته؟ أبزوج أول امرأة تصادفه انتقاماً من رونا، أم بغية
استمرار سلالة زاراكوتشي؟

تนาشت إلبيها أصوات من الداخل، كان قيدل يكلم ديلجي بشأن
رحلة غير متوقعة إلى لندن، ولكن أورسولا حرفت أنها لا تستطيع
مواجهة زوجها الآن، فهي معروحة حتى أعمق أعماقها.

هرعت راكضة قبل أن يراها وقالت:

-قولي له إنني خرجت أتمشى.

ولم ترد رونا، بل برقت عينها بانتصار حقوه.. ولعنة أورسولا
نفسها لأنها فكرت يوماً أن الكوتيسية ترغب في صداقتها.

عدت هاربة فوق الصخور المجاورة للمنزل مبتعدة عن الحدائق
متوجهة إلى المكان الذي كانت تلتقي فيه ريكو.. خلعت صندلها،
وسارت على الشاطئ.. ماذا ستفعل؟ كيف مستطيع العيش مع رجل
تجبه بيأس، وتعرف أنه تزوجها لأهداف غير نبيلة؟

خلعت فستانها القصير، وسبحت في الماء.. وسرعان ما
أصبحت ملابسها شفافة، ثم طافت على ظهرها.. بعد فترة وجدت أنها
بدأت تشعر بالبرد فخرجت ولكنها لما نظرت إلى الوراء أصبحت
بالصدمة.. آه.. لا.. ها هو المركب الصغير ذو الأشرعة البيضاء

والزرقاء.. كان ريكو آخر من تزيد رقته في هذا الوقت! لذا أسرعت
تبعد عن الأنظار، ثم تذكرت سقيفة المراكب..

رددت أورسولا بالإنكليزية:

-أريد قارباً.. قارباً..

ولوحت بيديها:

-في الخارج.. في البحيرة..

هز المراكب رأسه وابتسم، ثم انطلق بتحدى لها بالألمانية وأنهاها
بطريقة تدل على أن إخراج التوارب محرم تماماً.

تركته أورسولا مبتعدة بغضب.. ثمة شخص واحد بإمكانه إصدار
مثل هذه الأوامر.. قيدل.. لم تخرج من هذه الجزيرة منذ ستة

أسابيع! وإن لم تخرج فستصرخ.. بل ستلول!

ثم، أطبق كل شيء عليها فجأة.. وركضت عائدة إلى
الشاطئ.. تشق طريقها بسرعة على العشب النامي والأشواك ووصلت
إلى حيث كان ريكو.. صاحت به:

-ليس عليك أن تكون هنا.. سبقبضون عليك في يوم ما!

لم تلبث أن هرعت إليه رامية ذراعيها حوله ثم أجهشت بالبكاء.

قالت متوجبة على صدره: «أبعدني من هنا».

خرجت الكلمات منها عن غير قصد:

-أبعدني.. أبعدني.. الان.. في هذه اللحظة!

تراجع إلى الوراء، تنظر إليه، تزيد منه أن يتقدّم خطوة..

ابتلع ريقه: «ولكن زوجك».

صاحت ساخرة، تذكر الرجل في سقيفة المراكب:

-هل أنت خائف منه أيضاً؟

اسود وجهه فرجولته على المحك ولكن الحذر سيطر على رده..

وقال بحذر: «أنت متقدرة لذا لا تسرعي في اتخاذ القرارات الانفعالية..

اجلس هنا . . . ماذا سيقول الناس لو شاهدوك وأنت على هذه الحال؟
ألن يتهموني بأنني اخترفتك؟ ألا توافقني الرأي؟ خاصة وأنت لا
تحملين حقائب؟

سخرت منه: «ألم يكن الهدف من مجيك إنقاعي بمرافقتك؟»
بدا مرتباً: «أجل، إنما . . .

ـ لم تظهرني أقل بادرة تدل على رغبتك في التعرف إلى
ـ وأنت لم تحاول دفعي إلى الاهتمام.
ـ لماذا فعلت هذا؟ لقد جئت بلا شك.

ـ نظر إليها شرراً وعلى وجهه ريبة ما، ثم سأله:
ـ إلى من كنت تتحدى؟

ـ أتحدى؟ لا أفهم قصدك. ألا تريد إبعادي عن هذا المكان؟
ـ إذا كان هذا ما تريديه حقاً . . .

ـ لا أعرف ما أريد ولكن أطلب منك العودة غداً . . . أرجوك قل إنك
ـ عائد؟

ـ طبعاً سأعود . . . إذا سمع لي الطقس . . .
ـ لف ذراعه حول كتفيها وضمها إليه، وقال جاداً:

ـ أتعلمـن . . . أنت امرأة رائعة، وأظن أن زوجك مجنون.
ـ قالت مسرعة: «وكيف تعرف أن . . .

ـ كادت تكمل: أن قيد لا يعنيني . . .
ـ بدا مرتباً، محجاً، ثم اقترح أن يتمشيا، لترىح أعصابها . . .

ـ سألته: «هل ستعود غداً؟»
ـ التفت إليها، والعصا تأرجح في يده . . . وعيناه الراقستان أكثر
ـ اسوداداً وصرامة، وقال بهدوء:

ـ إذا كان هذا ما تريدينه حقاً . . .

أشاحت نظرها عنه، ثم أغضبت عينيها بشدة، تحاول ترتيب
أنكارها المشتبه.

ـ أريد أن أعرف ما إذا كنت عائداً، فقد أرغم في الرجل
ـ لف ذراعه فجأة حولها وقبّل خدتها.

ـ حسناً سأتي، فمن المؤسف جداً تورطك في هذا كله.
ـ ثم فجأة أدرك أن الساعة قد فارقت الخامسة كما ذكر أن لديه
ـ موعداً لرؤية مركب في الجهة الأخرى من البحيرة.

ـ مركباً؟ أعني مركب سباق . . .؟ أوجدت مركباً؟
ـ شعرت بالسرور من أجله أما هو فهو كتبه:

ـ لم أقرر شيئاً حتى الآن، فما زال المال عائقاً
ـ لم ترد على هذا، وساعدته في دفع قاربه إلى الماء.

ـ ثم سمعا صوت مركب بخاري ينتمد نحو الرأس . . . آه، لا إنه
ـ يخت . . . يتجه إلى رصيف البلدة. ولكن اليخت لا تتخذ هذا الطريق
ـ عادة. ترى هل رأهما من عليه؟ ربما كان قيد، لكن ما إن أصبح
ـ اليخت بعيداً حتى تعرفت أورسولا إلى رونا.

ـ غاصت أورسولا خلف القارب . . .
ـ انحنى انزل إلى تحت إنها الكونيسة . . . ولو شاهدتك.

ـ ضحك ريكو:

ـ لن تعرف إلى أحد من هذه المسافة . . . فلا تقلقي . . . تعالى
ـ أراك غداً هذا إن لم يكن الطقس سيئاً.

ـ لم نلاحظ أورسولا هبوب الريح. وفقت ترائب القارب الصغير
ـ يختفي ثم توحّت بيتها حتى توارى عن الأنظار. تنهدت آخرأ، مقررة
ـ أن من الأفضل لها أن تعود . . . أين وضع صندلها؟

ـ لهذا ما تفترشين عنه؟

ـ سألها ذلك السؤال شخص غير متوقع فنهضت، ثم أطلقت صيحة

رعب وتقديم طيف طوبل مألف من وراء صخرة مشرفة... إنه ثيدل.
تممت: «الله أرعيتني... جئت أسع... الطقس حار جداً».
منذ متى وهو هنا؟ ماذا شاهد بالضبط؟ ماذا سمع؟ أكملت بصوت
محنوق:

«أظن أن العاصفة قادمة».

كان خونها ظاهراً ومع ذلك لم يلن وجهه القاسي. راح يقترب
منها مقصراً المسافة الفاصلة بينهما.

توقف على بعض خطوات منها يدللي الصندل وكأنه طعم. ولكنها
كانت خائفة مما قد يحدث إن مدت يدها لتأخذه... أخيراً مدت
يدها... وكانت هذه غلطة كبيرة. التمع نور خطير في عينيه، وأمسك
معصمها، ليأسرها في قبضته الحديدية.

ـ من كان؟ من هو صاحب اليخت الذي كنت تلوحين له مودعه...
أخبريني أورسولا...! من كان ذلك الرجل؟ كم مرة التقىما؟ هل
اتفقتما على اللقاء ثانية؟... هيا... لم أنت صامتة؟ أطلب رداً... الآن!

* * *

٩ - المال لا يشتري القلب

ردت أورسولا ببرود: «اطلب ما شئت ولكن لا تتوقع مني رداً...».
تحررت منه بعنف وتراجعت بعض خطوات: «لن أمنع غباء قرروا
الرسو هنا».

صرخ ثيدل بها:

ـ لكن الجزيرة خاصة... ويجب أن يقرأوا اللوحات. كان عليك
أن تخبريه بنفسك... أنت زوجي أورسولا... وأنواع...
قطعته: «ولكتنا جميعاً توقع أشياء... توقيع أنت تزوجتني سبب
الحب لا يسبب الانتقام من رونا التي رفضت الزواج بك».

ـ عم تحدثين... ماذا قالت لك؟

ـ لا تنكر. أعرف الحقيقة يا ثيدل زاراكوتشي... العظيم... لقد
خذلتلك الكوتبسة العظيمة لأنها فضلت مالها عليك. ألها سمحت لها
بالمواطبة على المجيء إلى الفيلا؟ هل كان هدفك إظهار ما خسرته
بعدم الزواج بك؟

ـ ظهر خط أبيض رفع حول فمه:

ـ سمحت لها بالمجيء لأنني ظنتك بحاجة إليها لتنظيم حفل
البارحة.

ـ بالطبع أحتج إلى مساعدة... فأنا نكرة صغيرة... لكن هذا لم
ينجح... أليس كذلك؟ لم تستطع إبعاد بدبك عنها... بعد عشر سنوات

على علاقتك بها بـ معتاداً عليها

ـ أنت مخطئة.

ـ لست مخطئة!

ارتادت على عقبها متوجهة إلى الشاطئ، ولكنه لحق بها. أمسك
ذراعها وأدارها لتصطدم بجدار صدره الصلب:

ـ رونا رحلت.. لندن طلبت منها الرحيل.

ـ آه، عظيم! وهل لهذا أقل فرق؟

قاومت ثانية لتحرر منه:

ـ لكننا نعرف أن فيلتها الصيفية لا تبعد سوى نصف ساعة
بالسيارة.. وأعتقد أن «الجميع» يعرف ماذا يجري بينكمما.. حسناً..

ـ أنا الآن أعرف الحقيقة التي يعرفونها. أعرف سبب زواجك بي
بالضيـط.. ولقد اكتفيت!

ـ ماذا تعني؟

ـ كانت كلماته حادة وكأنها إطلاق النار.

ـ ظننتني أوضحت قصدي.

ـ ازدرد ريقه: «أنت متعة.. ستتكلم عن هذا لدى عودتي من
لندن».

ـ صاحت به: «لاتوقع رؤبتي هنا لدى عودتك».

ـ آه.. هذا لا يحدث حقاً! ولكن ما هو البديل لها؟ ستكون حياتها
بوساً إن بقيت!

ـ أمسك ذراعها ثانية، وصاح بغضب شديد:

ـ أنت لا تعرفين ما تقولين.. أنت زوجتي في السراء والضراء،
ولا نظني أبداً أنتي سأسمع لك بالفرار عند الفرصة الأولى التي ترين
فيها أن الأمور لا تجري حسب رغبتك.

ـ تلوت أورسولا في قبضته ولكنه لم يتركها:

ـ لقد تزوجتني بادعاء مزيف، لذلك فالقسم باطل.. قل لي، كم
من الوقت مر؟ كم من الوقت مر بعدما رفضت رونا الزواج بك.. كم
من الوقت مر بين ما جرى بينكم وبين خطوبتك لي في باريس؟
ـ ارجحـ عـضـلـ فـيـ وجـهـهـ، فـصـاحـتـ مـجـدـداـ:

ـ كـمـ مـنـ الـوقـتـ؟

ـ حـوـاليـ أـرـبـعـةـ أـسـابـعـ.

ـ أـرـبـعـةـ أـسـابـعـ؟

ـ أقلـ منـ شـهـرـ! اـرـتـسـمـتـ صـدـمةـ كـبـيرـةـ فـيـ عـيـنـيـاـنـ الخـصـراـءـينـ.

ـ أـنـقـصـدـ أـنـكـ قـبـلـ أـرـبـعـةـ أـسـابـعـ مـنـ مـقـابـلـيـ كـنـتـ تـنـويـ أـنـ تـزـوـجـ
ـ رـوـنـاـ؟

ـ أـجـلـ.

ـ ثـمـ تـهـدـيـهـةـ طـوـبـلـةـ، وـكـانـ صـوـتـهـ أـقـلـ حـدـدـ وـهـوـ يـضـيفـ:

ـ لـكـنـيـ لـمـ أـنـزـوـجـهـاـ، بـلـ تـزـوـجـتـ أـنـ.

ـ لـمـ يـكـنـ أـمـامـكـ خـيـارـ، فـرـوـنـاـ لـنـ تـمـكـنـ مـنـ الـإـنـجـابـ بـسـرـعـةـ. بـتـ
ـ أـنـهـمـكـ يـقـيـدـ زـارـاـكـوـشـيـ.. كـنـتـ تـبـحـثـ عـنـ اـمـرـأـ مـقـبـولـةـ شـكـلـاـ عـلـىـ
ـ أـنـ تـكـوـنـ وـحـيـةـ لـكـيـ تـنـجـبـ.

ـ اـخـتـقـ صـوـتـهـ قـلـيـلـاـ ثـمـ أـرـدـفـ:

ـ لـكـنـ هـذـاـ لـمـ يـنـجـحـ. فـأـنـاـ لـمـ أـحـمـلـ.. وـأـعـلـمـ أـنـيـ لـنـ أـكـوـنـ سـجـينةـ
ـ فـيـ هـذـهـ الـجـزـيرـةـ فـيـ مـاـ أـنـتـ تـجـوـبـ الـعـالـمـ سـيـداـ وـأـعـلـمـ أـيـضاـ أـنـهـ لـاـ يـهـمـيـ
ـ أـبـدـاـ أـسـمـ عـائـلـةـ زـارـاـكـوـشـيـ.. سـأـتـكـ قـيـدـ إـيـكـ أـنـ تـنـظـنـ أـنـ يـمـكـنـكـ

ـ الـحـوـزـوـلـ بـيـنـ وـبـيـنـ الرـحـيلـ
ـ ضـحـكـ.. ضـحـكـ فـعـلـاـ.. إـذـاـ كـانـ مـثـلـ هـذـاـ الصـوتـ العـادـ الأـجـشـ

ـ يـسـتـحـنـ هـذـاـ الـاسـمـ.

ـ لـنـ تـرـكـيـنـيـ.. وـإـنـ حدـثـ أـنـ فـعـلـتـ ذـلـكـ فـهـلـ تـنـظـنـ أـنـ سـيـهـدـأـلـيـ

ـ بـالـقـبـلـ أـنـ أـجـدـكـ.

في كلامه شر كامن أخافها، فكيف لفتاة مثلها الوقوف في وجه

رجل كثيدل؟

ارتجمت: «اذهب ودعني وحدني».

كانت الريح الآن تهب بقوة وكان فستانها على حاله رطباً فارتعدت ثانية.

- اذهب واتركني وشأنني.. ربما اشتريت بمالك جسدي ولكنك لن تدخل قلبي أبداً
 بدا وكأنه على وشك أن يضر بها.. ثم تلاشى غضبه وعنه،
 وأصبح وجهه قناعاً مبهمأً.. لم يكن في حركته عاطفة عندما مدّ يده
 يلمس ياقة فستانها المفتوحة.. ولكن، لم يكن في عينيه رغبة أو
 سعادة.. وحين تكلم، كانت كلماته جافة قاسية:

- ما دمت أريد إبناً فانت مضطراً للاعتراف بحقني في جسدي..
 ولكن أرجو أن تصاحبجي لأنني لن أستغل ما هو معروض أمامي الآن..
 والبسب أنه لا يجذبني.

حطم أورسولا الشلال الذي أنزلتها به عيناه، وضمت فستانها
 مجدداً فإن لم يذهب حالاً فقد تنهار أمامه.

- اذهب من هنا! اذهب إلى لندن.. وابق هناك القدر الذي
 تشاء!

ابتعد أخيراً فراقبه محطمها الفؤاد ثم لم تلبث أن انهارت على
 الشاطئ وأجهشت بالبكاء.

تعرضت بعد ذلك للرشع الذي رافقته حرارة أقعدتها في الفراش
 وكان هذا السبب الذي حال بينها وبين الرحيل.

مدت يدها إلى علبة المحارم الورقية.. ورتبت الوسائل عازمة
 النية على عدم الاستسلام للرؤوس.. هل عاد ريكو إلى الشاطئ؟ لا
 مجال لمعرفة ذلك.. ترى هل شاهد قيدل على الشاطئ؟ هل خاف

عليها، أم خاف على نفسه؟
 في اليوم الثالث، نهضت من السرير وكانت حرارتها قد ولت
 فقررت الخروج على الهواء العليل يعشها.. تمددت على كرسي تحت
 أشعة شمس أيلول الدافئة.. تظاهر بالقراءة، وتحاول اتخاذ قرار بشأن
 ما ستفعله ويشان الطريقة التي ستتخذها للهرب في حال عدل ريكو عن
 المودة.

لكن كلمات قيدل عادت تطاردتها وتخيفها باستمرار، قال لها:
 «أنتين أن العالم كبير لتخفي فيه؟.. هل سجرها من المكان الذي
 تقصده؟ أ يريد حقاً العيش مع زوجة ترفض الانصياع لقوانيه الخاصة؟
 آه، ولكنها لا تزيد الرجل.. أستد ظهرها إلى الكرسي وهي
 تشعر أن العذاب يمزق نفسها.. أغمقت عينيها بشدة لتمنع الدموع،
 فسرحت أشعة أيلول منها.. برقت عيناه فجأة.. أيلول.. أيلول! ثم
 جلس.. هذا يعني أن آب انتهى.. آخر أسبوع من آب و.. ولكنها
 مخطئة.. هرعت إلى غرفتها حيث أخرجت المتفكرة من حقيبتها:
 واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة هذا يعني أنها تجاوزت العشرة أيام..
 جلس على طرف السرير بسرعة متعدة العينين.. مقطوعة
 الأنفاس، تبسم بانفعال..

ترى ماذا سيقول قيدل؟ ماذا سيقول؟

وقعت الحقيقة على رأسها كحد السيف.. لقد نال الآن ما يريد،
 فإن كان المولود ذكرًا فلن يضطر إلى الادعاء بأنه يحبها، لأنه يعلم أنها
 ستضطر للبقاء هنا إلى الأبد.. فلن تذكر الأم أبداً حق ابنها في منزل
 كهذا، وميراث كهذا؟

إنما، هل المال والمركز هما كل شيء؟ ترى ما هي الحياة التي
 سيحياها الطفل بين أبوين متضادين؟ وماذا إن أرسله قيدل إلى مدرسة
 داخلية وتركها وحيدة هنا؟

إنه وقت القرار... وتسليت إلى الشاطئ ولكنها لم تجد أثراً لريكتو.. رأت يختا فتساءلت هل عاد قيدل؟
ركضت إلى الرصيف عندما كان البحت يرسو. فلاحظت حركة في القمرة التي أخرجت منها حقات ثم رأت امرأة تتحدث الإنكليزية وتطلب من الخدم العذر في حملهم شيئاً. ارتدت أورسولا إلى الوراء لأنها تعرفت فجأة إلى الصوت.
- حبيبي... ها أنت! ما أسعدي بروينتك! عندما اتصل بك أخبروني أنك تترهين.
لم تستطع أورسولا إلا الوقوف هناك فاغرفة فاها. ماذا تفعل إيماء هنا؟

- يا لها من مناجاة جميلة! هل جئت من نيس أم فينيسا؟
 أمسكت إيماء ذراع أورسولا وكأنهما صديقتان:
- لا تكلمي عن نيس فقد كانت رهيبة.
ولكن عينيها كانتا تحطمان على كل شيء لاستيعاب المنزل العظيم والحدائق المدرجة والزهور الغريبة... والترف.
عندما أوصلتها أورسولا إلى غرفتها قالت إيماء:
- يا إلهي كم تغيرت!
- كنت سأرسل لك بعض الزهور... لو علمت بقدومك...
- لم أخطط للمجيء...
خلعت إيماء سترتها:
- لا... لا... لن أزعجك بالتفاصيل... حين أنكر في ذلك الرجل الشrier...
إذا كنت لا تريدين الكلام عن الأمر...
من الواضح أنها كانت تربى الكلام: «أنت تعرفي أنهم كلهم سواء».

واردفت تسرد آخر أخبار علاقتها التي انتهت... و يبدو أنه نفسه

الذى أنت برفقته إلى حفل زفافها في باريس...
ستتحمل أورسولا وجود إيماء من أجل ذكرى والدها ولكن صوتاً ما في داخلها أبى لها بأنها تفعل ذلك من أجل نفسها فقط إذ ستخذل وجود إيماء أذراً حتى لا تترك قيدل.
كانت إيماء تكمل قصتها:
- هكذا، حين حصل هذا، أيمكنك تصور كم أصبحت بالذعر... لقد ذهب كل شيء!
أجلنت أورسولا لأنها لم تكون تصفي إليها.
- كل شيء؟
يا الله! ما الذي كانت تقوله إيماء؟ ما الذي ذهب؟
- حسناً، ليس الثقة بالطبع أما أموالي المستثمرة وأخر ما حصلت عليه من مال تأمين أبيك فقد ذهب.
- هل تعيين...
قطعتها إيماء: الا تقولي إنه اختلسها فلست على هذا القدر من الغباء... لقد كان استثماراً حقيقياً... لقد أخبرني ذلك هو نفسه. ولكنه لم يكن استثماراً حقيقياً.
بدأت أورسولا ترى الصورة... كانت إيماء تضارب في البورصة بمساعدة أصدقائها و خسرت:
- وماذا بعد؟ أعني، هل تركت ورحل؟
- وهل هناك رجل يجرؤ على تركي؟ آه، لا بل أنا التي تركته... تركته لأنه غبي مسكين لا يعرف كيف يهتم بنفسه، فكيف بهتم بي وأنا أرفض العودة إلى لندن بهذه السرعة.
- وما عن... صديقتك التي كنت تسافرين معها؟
- افترحت على العودة إلى لندن لأبحث عن عمل. عندما تقعين في مشكلة ما تعرفين من هو الصديق الحقيقي!

هست.

ـ «هذا ما أظنه».

ـ ثم.. يقال، إن الدم أُنْقَل من الماء!

ابسمت أورسولا:

ـ يؤسفني ألا يكون قيدل هنا ولكنه عائد غداً.. وأنا واثقة أنه سيقدم لك النصوح سعيداً.

ـ كنت أعلم أن هذا ما ستقوليه!

تقدمت إلى أورسولا تحضنها بقوه وتصلب، وخجل:

ـ ثم ستكلميته.. أليس كذلك؟ وسيدو الأمر أفضل إذا ما سمعه منك.

ـ مني؟

ـ أورسولا حبيتي لا تكوني ساذجة. هذا لا يناسب صورتك الجديدة.. أما الآن، فلندخل ولنتكلم عمما كنت تفعليه..

ـ لكن الأمر لم يكن أفضل في الداخل.. فقد بدأت أورسولا تدرك سبب مجيء إيماء.. لم تأت بهدفقضاء عطلة قصيرة بل بهدف اقتراض المال من قيدل.

دخلتا، وأقفلت أورسولا الباب الزجاجي.. ولكن لدى اقتراب يخت ما من المرأة نشبت أفكارها.

ـ ابعدت عن الباب وتقدمت إلى حيث تجلس إيماء على الأريكة:

ـ ثمة أمور لا تعرفيتها. اسمعي أنا لا أستطيع أن أطلب من قيدل شيئاً.

ـ ردت إيماء بحدة: «ماذا تقصدين بذلك لا تستطعين طلب شيء منه أنت عروسه فكيف يرفض لك طليباً؟ هل ندم على زواجهما المتسزع؟»

ـ قالت كافية: «أليس الأمر كما تقولين؟».

ـ إذن، ستعطييني أنت المال.

ـ أنا؟

ـ يائة عليك توقيفي عن ترددي هذه الكلمة؟ أنت زوجته وما المال بعائق.. أعطبني بعضًا من مالك وهذا أقل ما عليك فعله.. لا شك أن والدك توقع منك الاهتمام بي.. وأنا أتوقع منك ذلك خاصة بعدما خدعني والدك بادعاء أثراً.

ـ ردت أورسولا بسخط: «لم يخدع أبي أحداً، كيف تجرؤين على التلميح بذلك في بيتي؟».

ـ يا الله! لم يمض على وجود إيماء خمس دقائق وها هما تتشاجران مرة أخرى.

ـ سمعت صوتاً ما على الشرفة، لكن أورسولا تجاهلتة حين شهدت

ـ إيماء قائلة:

ـ منزلك؟ حقاً؟ إذا كان منزلك فلا مشكلة إذن. إن لم تكوني قادرة على جمع المال فيبعي شيئاً.. لقد قلت لي إنك ستتزوجين قيدل زاراكوتشي طمعاً بماله ولكن ما فائدة ذلك إن لم تستطعي وضع يدك على مبلغ صغير من وقت إلى آخر؟

ـ القست عيناً أورسولا الخضراء وان غضباً واستباء:

ـ أنا لم أقل قط..

ـ ثم صمت لأنها شعرت بأن أحدهم يتقدم من جهة الشرفة فالنفت بحدة راجحة الله إلا يكون قد سمع حدبيهما أحد. أديلغي القاسم؟ ولكن القاسم لم يكن ديلغي بل قيدل الذي وقف بباب الشرفة متوجهماً، بارد العينين.

ـ شهدت أورسولا: «قيدل يا لها من مناجاة! لم أتوقع مجبيك قبل الغد».

ـ تقدم قاتلاً: «هذا ما أراه واضحاً».

ـ لشها على وجتها بفتحور فارادت في لحظة مجونة يائسة أن ترمي ذراعيها حوله.. أرادت أن تضمه لتغول له إنها تتضرر مولوداً، ولكنه

كان قد تركها ودنا من إيماء بحبيها.

سانت أورسولا وهي تقاوم للمحافظة على المظاهر أمام إيماء:

- كيف.. . كيف حال لندن؟

رمي حقيبة أوراقه على كرسي.. . بدا متعباً، وجذاباً. إنه رجل خطير.. . لكن متعب.

- لندن؟.. . لندن كانت.. . ناجحة. هل اتصل المصرف بي؟ كنت في مكان لم يستطع أحد الاتصال بي.

ردت: «لا أدرى إن اتصل بك أحدهم».

لم ترد أن تخبره أنها كانت في الفراش بضعة أيام.. . إذن، إن لم يكن يقوم بعمل للمصرف، فلأين كان؟ أين.. . ومع من؟ خطير يبالها فجأة أنها لم تر رونا عدة أيام.. .

لف التوتر الغرفة، وكان من المنهل أن تبقى إيماء باردة هادئة.. .

لماذا قالت الكلام الرهيب الذي قالته؟ أقالته عمداً ليسمعه قيد؟ بالطبع.. . ولهذا السبب تحس أورسولا بالحقد يتأكل تلك النفس المستترة وراء مظهر خارجي معقول، متمنى.. . ولكن، هل صدق ما قالت؟ أحسست أورسولا فجأة بأن عليها الابتعاد من هنا.. . فكل ما يحدث، مؤلم.. .

- هل ألا عذر تمني؟ أريد أن أرى الخدم في المطبخ.
وابتعدت هاربة بالفعل من الغرفة.

لكن قيدل كان يتظرها حين عادت من السلم الخلفي.. . توقفت أمامه وأخذها يتبدلان النظارات.. . ثم قالت: «أنا... . أرادت أن تردد، لم أتزوجك طمعاً بمالك، غير أن تعبير وجهه الباردة حالت دون ذلك. فقالت: «لم أعرف بقدوم إيماء».

لم يكن ما قالته بدليلاً لاتهما. قال وكأنها لم تتكلّم: «حملت معي أشياء تخصك».

- ماذَا تعنى؟

إنه لا يقصد هدية بالطبع!

- إنها في مكتبي!

وارتد على عقبيه فلحقت به. كانت الغرفة مظلمة، والستائر مسدلة ففتحتها ثم سمعت صوتاً من الردهة، ودخل ديلفي ورجل آخر من العمال يحملان قفصاً خشبياً صغيراً.

قالت أورسولا: «هل اشتربت لوحات؟»

تعرف أن شراء اللوحات أحد نقاط ضعفه.

- أقصد أنها لي؟

لم يقل شيئاً.. . بل فتح الغطاء وأخرج اللوحة الأولى.. . كانت صغيرة إطارها صغير عليهما غطاء ما.. . فتحها وأعطتها إياها. حدقت أورسولا إلى اللوحة فترة طويلة. ثم أخرج قيدل لوحة أخرى، فأخرى حتى بلغ العدد ستة.

طفرت الدموع من عينيها بحيث لم تعد ترى شيئاً.. .

- لا أصدق!

يداً صوته قادماً من مكان بعيد: «أهي اللوحات؟»

هزت رأسها.. . ها هي لوحات أمها الحبية أمامها.

- كيف.. . كيف وجدتها.. .

هز كتفيه بلا مبالغة ثم أردد بصوت بارد.

- لدى نفوذى.

نفوذ؟ ألمى قيدل زاراً كوشى نفوذ يجعله قادرًا على تعقب ست لوحات مغمورة ربما كانت في مخزن عتيق في حي فقير؟ إن كان قادراً على جلب لوحات بهذه فمماذا عن جلب شخص ما كزوجة هاربة؟
أصابها الرعب، بحيث لم تعد تستطيع الكلام أو الحركة.. . كانت تعرف أنها تزوجت رجلاً ثرياً ولكنها لم تستطع التصور أن له هذه البد

إن كانت ستتركه فليكن ذلك قريباً.. فما إن يعرف بأمر حملها حتى يصبح من المستحيل عليها الاختباء في أي مكان. أخيراً.. وبعد طول صمت، أدركت أن عليها أن تقول شيئاً.. أن تشكه.. لكن، حين استردت وعيها، ونظرت حولها بغاية في الغرفة لم تجده فيها.

* * *

١٠ - الليلة الأخيرة

ووجدت أورسولا قيدل في غرفته.. ولأنه لم يسمعها حين وصلت وقفت في الباب لحظات، تنظر إليه، وفبها توق إلى أن يعود كل شيء إلى ما كان عليه.. كان يتحرك برشاقة خطيرة.

فجأة عرف أنها هناك، فرفع بصره بسرعة فإذا عيناه فاسitan زرقاوان تسجلان.. ماذ؟.. خيبة الأمل؟
قالت مرتيبة: «لم تمهلني الوقت لأنشكرك»..
أتبعتها غربتها بأن هذا الوقت مهم جداً. إذا كانوا سيقرران الاستمرار بالزواج فهو أنساب وقت.

سألتها حالياً الوجه من المشاعر متوجهاً إلى حقيبة ليخرج منها الأغراض

- كم من الوقت تحتاجين؟
وقفت أورسولا في منتصف الغرفة، تتلاعب بحزام فستانها متوتة.. وحاوالت أن تنسخ له مرة أخرى:

- لم أعرف أنها قادمة.. لقد وصلت على حين غرة.. لا رد أو مساعدة بل راح بخرج آخر شيء في حقيبة..
- إنها مفلسة..

أقفل سحاب الحقيقة، يتركها لدبليغي ليعدها:
- حقاً؟

- إنها تريدى مني أن أفرضها بعض المال.
يا رباء! لماذا يصعب عليها الأمر؟

- حسناً؟ لماذا تقولين هذا لي؟ أعطىها المال إن كنت تريدين ذلك. أنا لا أضع الحواجز في ما يتعلق بالمال أورسولا . اعتبرى المبلغ إن شئت ثمناً «الخدمات» قدمتها لي.

ردت بحدة: «أنت تحرّف كل شيء..»

- أنا لا أحرّف شيئاً.. ألم تقولي إن إيمان تريمان تريدى بعض المال.. وماذاعني؟ ألم أقل إن القرار يعود إليك؟ لماذا تريدين؟ هل أنفقت كل مالك؟ أتريدين المزيد؟

ردت: «لم أنفق من مالك إلا القليل، إلا ترى أنني سجينة في هذا المكان؟»

- سجينة.

- لم أقصد..

ظهر الغضب على وجهه:

- بلـي، قصدت.. ماذا تقصدين بلفظة «سجينة»؟ أنت تقولين إنـي أحبـك هنا رغمـما عنـك؟

- أنت تجولـ العالم مستـمتعـاً..

رفع حاجـبهـ، فأردـفتـ:

- وتركتـ هنا عـالقةـ حيثـ لاـ أـنـيسـ أوـ... صـمتـ، عـندـماـ أـخـذـتـ عـيـاهـ تـجـولـانـ فـيـ الغـرـفـةـ وـفـيـ ماـ وـرـاءـهـاـ منـ منـاظـرـ سـاحـرـةـ.

- أـرىـ أنـ ماـ يـحـيطـ بـكـ يـقـبـضـ الصـدرـ حـقاـ.

- أـنتـ تـعـمـدـ إـثـارـتـيـ.. ! لأنـكـ تـعـرـفـ تـامـاـ قـصـدـيـ.. فـماـ يـحـيطـ بـيـ لاـ يـهـمـ.

قطـاعـهـاـ مرـدـفـاـ عـنـهـاـ: «ماـ دـامـ المـالـ مـتـوفـراـ».

لكـنـهاـ أـرـادـتـ أـنـ تـقـولـ إنـ النـاسـ هـمـ الـمـهـمـونـ. بـعـدـ مـقـاطـعـهـ الـمـرـبـرـةـ لهاـ، انـجـبـتـ الـكـلـمـاتـ فـيـ حـلـقـهـ فـحـدـقـتـ إـلـيـهـ بـرـعـبـ.. لـقـدـ صـدـقـ فـعـلـاـ مـاـ قـالـهـ إـيمـاـ. يـاـ لـسـخـرـيـةـ التـقـدـرـ! يـوـهمـ آنـهـ نـزـوـجـهـ طـمـعاـ بـمـالـهـ أـمـاـ

الـمـرـأـةـ الـأـخـرـىـ فـلـمـ تـزـوـجـهـ مـنـ أـجـلـ مـاـلـهـ.

- يـدـوـ أـنـكـ تـخـتـارـ دـائـمـاـ الـمـرـأـةـ غـيرـ الـمـنـاسـبـ.. أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟

ارـتـدـتـ عـهـ بـسـرـعـةـ لـتـخـرـجـ فـيـ الـبـابـ وـلـكـهـ وـصـلـ إـلـيـهـ قـبـلـهاـ.

وـأـمـسـكـ بـذـرـاعـهـاـ يـدـرـيـهـاـ إـلـيـهـ وـغـضـبـ الـبـارـدـ، الـمـتـابـعـ، اـنـقـلـبـ إـلـيـ غـيـظـ

قـاتـمـ عـيـفـ: «أـمـاـذـ قـلـتـ؟»

كـاتـمـ هـمـسـهـ الـثـقـيلـةـ مـخـيـفـةـ.. وـكـرـرـ:

- ماـذـاـ قـلـتـ أـورـسـولاـ؟ إـنـيـ أـخـذـتـ الـمـرـأـةـ غـيرـ الـمـنـاسـبـ؟ أـهـذاـ ماـ

أـنـتـ مـؤـمـنـةـ بـهـ؟

كـاتـمـ أـصـابـعـهـ تـؤـلـمـ ذـرـاعـهـاـ.. وـظـهـرـ أـلـمـ جـهـنـمـيـ عـلـىـ وـجـهـهـاـ، مـاـ

زادـ مـنـ سـعادـتـهـ.. شـدـتـ نـفـسـهـاـ مـبـعـدـةـ:

- اـتـرـكـتـيـ وـشـائـيـ وـفـكـرـ فـيـ مـاـ تـشـاءـ!

كـاتـمـ قـرـيبـهـ مـنـ بـحـثـ شـعـرـ بـالـإـثـارـةـ الـمـعـادـةـ الـمـالـوـفـةـ تـشـعلـ

أـوـصـالـهـاـ.. لـكـنـهاـ صـاحـتـ:

- لـمـ أـطـلـبـ مـنـ إـيمـاـ الـمـجـيـءـ.. إـنـهاـ تـرـيـدـ مـالـكـ الـعـفـنـ أـمـاـ أـنـاـ فـلاـ

أـرـيـدـهـ.. لـنـ قـشـتـرـيـنـ بـهـ أـبـداـ!

بـدـتـ عـلـىـ وـجـهـهـ فـيـ دـلـلـ الصـدـمـةـ هـنـيـهـهـ.. وـلـكـنـ لـمـ تـلـبـتـ أـنـ اـشـتـدـتـ

شـفـاهـهـ وـسـأـلـ بـحـسـرـجـةـ:

- إـذـنـ.. مـاـذـاـ تـرـيـدـيـنـ أـورـسـولاـ؟

وـقـفـاـ يـتـادـلـانـ النـظـرـاتـ، وـالـتـوـرـيـثـ وـثـبـاـيـهـمـاـ.. لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ مـاـ

يـمـكـنـهـ قـولـهـ وـإـنـ لـمـ يـعـرـفـ الـآنـ مـاـ تـرـيـدـ، فـلـنـ يـعـرـفـ أـبـداـ.. لـقـدـ اـنـتـهـيـ

كـلـ شـيـءـ.. فـكـرـتـ فـيـ الطـفـلـ، وـكـادـتـ تـهـارـ أـمـاـهـ وـتـخـبـرـ.. كـادـتـ

تـتوـسـلـ إـلـيـهـ حـتـىـ يـجـهـمـاـ.. وـلـكـنـ الطـفـلـ كـانـ السـبـبـ فـيـ الـقـوـةـ الـتيـ

- شكرأً لك على اللوحات . . لا يسعني نسيان المفاجأة .
 لكنه لم يسمعها، فقد رن جرس هاتفه الخاص . عندما كانت تهم بإغلاق الباب سمعته يتحدث بالإيطالية، وكانت الكلمة الوحيدة التي فهمتها، روتانا تلك الليلة لم تره ثانية !

توارت شمس الصباح خلف النعوم فارتجمفت أورسولا . سألها ريكو وهو يحرك بعض الحصى يقدمه :

- هل هذا ما تريدينه حقاً؟

اطرقت برأسها إلى يديها المتشابكتين، وقالت بهدوء :

- إنه الحل الأمثل .

ال نقط ريكو حصوة ورمها في الماء .

- أنت لم تأتِ إلى هنا منذ أيام . . (سألها)
 بمن يذكرها بهذا العبوس؟ . . وتتابع :

- قلقت عليك . . ظنت أن زوجك شاهدنا . . وأنه يغار .
 حاولت أورسولا أن تصفعك . . فالغيرة ليست الكلمة المناسبة . .

وقالت :

- أنا من يجب أن يغار .

نظر إليها بارتباك فأردفت بعد قليل :

- رجاء تعال غداً باكرأً لاصحبيني .

- إلى أين؟

هزت كتفيها : إلى باريس أولاً . أما بعد باريس . . .

ثم أدركت أن عليها الانتقال شيئاً فشيئاً نهوضه .

- قد لا أذهب إلى باريس . . في الواقع لا لأدرى حقاً . .

سألها : أتشكين في؟

لم يكن في صوته غضب بل أمر واقعي حتمي . . عبست أورسولا لأنها أدركت أن لدى هذا الرجل سراً ما . ريكو دوريانو . . من أين أني؟

جعلتها ترفع رأسها عالياً تحدق مباشرة إلى عينيه الزرقاوين العميقين القاسيتين . كانت تريده أن يقول :

- سأقول لك ما أريد . . أريد لطفلنا أن يولد في عالم ملؤه الحب والأمان . .

لكتها لم تستطع أن تقول هذا . . ولن تستطع . . افتحهد قيدل ، وكشر عن وجهه بشكل غريب :

- يبدو أنك لا تعرفين ما تريدين . . كان يقف أمامها . . يريد منها أن تخرج بما يعندها . لماذا؟ أليتمكن بعد ذلك من تحطيم آخر أعمالها؟

أحبك . . وأريد أن نعود كما كنا في البداية .

لكن الكلمات ظلت في نفسها . حاولت مراراً وتكراراً ولكنها كانت تتراجع دائماً بسبب دورانها في دوامة الأمل واليأس . أخيراً قالت :

- حين وافقت على الزواج بك . . لم أعتقد أن الأمر سيكون هكذا . عاد إلى صوته الهدوء :

- وأنا كذلك لم أكن أعتقد أن الأمر سيكون هكذا .

كادت أورسولا تسمع تفكيره بصخب :

- من الأفضل أن أعود إلى إيمـا . . سـتسأـل . .

نفذت عيناه الزرقاوـان إلى نفسها، وكـأنـه يـعـرف السـرـ الذي تـخفـيـه . . أخيراً أبـعدـتـ عـينـيـهاـعـنهـ، فـأـرـتـسـمـتـ بـسـمـةـ مـتـوـرـةـ عـلـىـ شـفـتيـهـ.

قال ينهي حديثهما بكل سهولة :

- بكل تأكيد . . عودي إلى زوجة أليك . وأرجو أن تعذرـيـ نـيـابةـ عنـيـ لأنـيـ لنـ أـعـشـيـ معـكـماـ اللـيـلـةـ لأنـهـ لـدىـ لـديـ عـلـمـ.

تحركت أورسولا إلى الباب، مرتبكة، تعلـسـ إلى درـجـةـ الـبـؤـسـ ثم التفت تـعـضـ شـفـتهاـ لـثـلاـ تـرـجـفـ.

وماذا يفعل هنا حقاً؟ .. وما دوافعه؟

تلك الليلة شعرت أورسولا أن شيئاً ما يكاد يدفعها إلى الجنون . إنها الآن في فراشها المزدوج العريض .. تلتوت ، تقلبت ، ورغبت أن يكون قيدل معها .. وعادت ذكرى عذابها تلاحقها .. وشعرت بالوحدة وبالشوق إليه كما شعرت بالفراغ واليأس لمعرفتها أن زوجها ينام في غرفته وحيداً . صدقأً .. من سمع في هذه الأيام ب الرجل وزوجته يعيش كل منها في غرفته الخاصة؟ إنها الآن ترغب فيه وتربيده بغضب أعمى ، أرادت أن يحبها وأن يشاطرها فراشها وأن يعاشرها كزوج ليلة بعد ليلة .. كما أرادت لطفلهما أن يتربى في بيت لا في مجرد منزل . وإن لم تستطع الحصول على هذا كله ، فهي إذن ، لن تستطع البقاء معذبة نفسها بقربه منها . لن تستطع تحمل رنة صوته القوي وهو يتحدث إلى امرأة أخرى . لا يمكنها أن تتعرض نفسها لمثل هذا العذاب .. إن البديل الوحيد أمامها هو الرحيل مع ريكو الذي سبقها في الصباح الباكر إلى البر .

كانت زوجة أبيها قد سألتها بعد الغداء :

- أئمة خطب ما بينك وبين زوجك .

- ماذا تعنين؟

- لا شيء حبيبتي ولكن هل تحدثت إلى قيدل بشأن ما كنا نتحدث عنه؟

- أجل .. أعني ..

- وماذا قال؟

- أنا .. إنه .. لم يقرر شيئاً .

لكن إيمالم تردد وقالت بخث :

- لا أستطيع الانتظار ولكن ما رأيك لو جعلنا زيارتني هذه زيارة عائلية صغيرة؟

وكان أن تحملت أورسولا ضغط رقة إيمالا محاولة الرد على أسئلتها ولكن ذكرها كان يعيش في دوامة كبيرة . إنه نهارها الأخير والليلة الأخيرة في الفيلا . فגדاً ستكون في مكان لا يعلم ما هو سوى الله .

سللت هذه الفكرة إلى نفسها ببطء . في البداية كانت مجرد تذكر عادي ، بعدها انضم قيدل إليهما . قدمت له فنجان شاي ثم لعما اقترب من النافذة تنسمت عطر ما بعد الحلاقة . وهكذا ولدت في رأسها الفكرة التي راحت تكبر وتكبر .

وقت العشاء نظرت الفكرة حتى أصبحت رغبة حارقة وحاجة يجب أن ترضيها وتهديها للمرة الأخيرة .

بدأ قبلها بتحطم .. فالليلة ييدو قيدل .. قيدل .. قيدل زاراكوتشي بشكل بازز : الارستقراطي الشرعي المدني الشديد الثقة بالنفس ، الرجل الساحر الرائع المتواضع . أليس تواضعه هو ما جذبها إليه؟ عندما كانت تجلس إلى المائدة تذكرت الغداء البسيط في اللوفر ، وزهرة السنين التي بدا فيها راغباً في إسعادها .

أكان كل ذلك أذاء؟ .. ارتشفت قليلاً من كوب العصير أمامها ، لأنها شعرت بحلتها يجف فجأة .

سألتها قيدل : « هل أنت بخير؟ »

تنسم أنه كان مستغرقاً في محادثة إيمالا .

- أصبت بالرمش أثناء غيابك .. هذا كل شيء ..

أدرك متأخرة أن الزوج في الظروف الطبيعية كان سيعرف مسألة مرضها منذ ليلة أمس .

ولم تفت هذه الملاحظة إيمالا فأخذت عيناها الحادتان تنتقلان من واحدهما إلى الآخر ، ثم أخذت ابتسامة تحت منديلها وقالت : « أتفهم لا يكون شجار ما قد وفع بينكم بسيبي » .

وهذا مازاد الأمور سوءاً، ففي ما تبقى من الأمسية لم تفارق عيناه أورسولا.. وأخذت تسأله عن الشيطان الذي دفعها إلى اختيار هذا الشر بالذات، الثوب الذي تعرف أنه يحبه كثيراً.

قدم ديليقي القهوة لهم في غرفة الجلوس وهناك صبّ قيدل القهوة لنفسه ولابيام ثم الفت إلى أورسولا.

- أتريددين القهوة؟

هزت رأسها إيجاباً.. ولكن شفتيها ارتجحتا فقد ذكرت أنها وضبت كيسين بعجان بالملابس وهو ما في غرفتها. أنهت قهوتها ثم توجهت لوضع الفنجان على الصبيبة. وحذا قيدل حذوها فاصطدمتا معاً، عندها همست أورسولا آلياً: «آسفة».

أمسك قيدل ذراعها بلطف فإذا أصابعه دافئة حازمة: «هل أنت بخير؟»
- طبعاً.

- هل أبعد إيماء.. أنا مؤدب معها من أجلك.
همست: «لا».

هذا كله جنون.. ها هما زوج وزوجة بهمسان سراً في الزاوية علماً أنه لا يحبها فهو لا يريد سوى رونا التي تنضم مع حياته الكبيرة..
- أنا.. فقط متعة قليلًا..

قال بصوت عميق أحش: «المالذا لا تأمين إلى فراشك؟»
أخذت أن عينيه ترددان منها التطلع إليه.. ففي نبرة صوته رنة تعرفها جيداً.. رفعت عينيها نحوه فوجدت فيهما ما يقول: سأتي إلى غرفتك.. أليس هذا بالضبط ما تريده وتفكير فيه طوال المساء؟
قالت: «أظنتني سافعل».

ثم نادت عالياً: «اعتذر إيماء لأنني سأوي إلى فراشي باكرأ»..
غادرت الغرفة بدون أن تنهار.. لقد انتهت هذا النهار وليس عليها

إلا انتظار احتضار الليل.

هل تجرؤ على الرحيل؟ فلنفترض أنه لا يريدها؟ كيف ستتمكن من العيش مع الذل؟ ربما كان اهتمامه بها بسبب وجود إيماء.. استلقت في الفراش قلقة تصفي لوعة الأندام.. تسأله كيف تمضي إيماء وقتها معه.. غريب.. إنها لا تشعر أبداً بالغيرة من زوجة أبيها..

أخيراً سمعت وقع قدميه على سجادة غرفة الملابس أولاً، كعادته.. تصورته يخلع ملابسه راماً كل شيء في سلة الغسيل، واقفاً هناك حيث تظهر بوضوح عضلات المفتولة..
أغمضت عينيها بشدة ولكن الصورة لم تخفت.. أرادت أن تمد يدها لتلمسه.. أرادت أن يكون هنا إلى جانها.. أن تحس بثقله قريباً.

انسلت صرخة قصيرة من فمها.. ثم بدأ قلبها بالخفقان وتندق الدم غزيراً في عروقها.. ليه يفتح الباب! ليه يأتي إليها! ولكن هل ستجد القوة للرحيل بعدما تقضي معه ليلة أخرى؟
ولم يدخل.. بعد قليل انطفأ النور في غرفة ملابسه.. لكن هذا لا يعني أنها لا تستطيع الذهاب إليه! نهضت من السرير، تقواوم الأغطية التي كانت تحاول أن تستك بعها.. أضاءت النور، وتقدمت إلى المرأة الطويلة.. ألن يرغب فيها؟ نظرت إلى صورتها بعين منتقدة متذكرة ليتلهمها الأولى معاً.. أحسست بحرارة الذكري وتطايرت شرارات الإثارة من أعماقها.. إن لم يكن ما كان يفعله بها حباً، فهو تقليد رائع للحب.. ولكن الرجل غير مضطر إلى هذه الدرجة من التقليد؟ وهل تؤثر فيه الذكري أيضاً؟ ترى هل سيستطيع مقاومتها في ما لو تسللت إلى فراشه؟

مررت أصابعها في شعرها الأشقر، وربطت شفتيها.. تذكر تلك الأسرار المعتمدة الرائعة التي علمها إياها.. ثم تجهم وجهها.. إنها

تعرف جيداً أنها لن تستطيع قضاء هذه الليلة بالذات بمفردها. لن تستطع! يجب أن تستغل فرستها الأخيرة ولتضرب بعد ذلك التائج عرض الحائط.

لكنها لم تجد الشجاعة للتوجه إليه في غلالة النوم الشفافة... فكان أن وضعت روبيها الرقيق وربطت أشرطة الصغيرة بأصابع مترجمة... ثم تسللت على رؤوس أصحابها إلى غرفة الملابس... وأطبقت يدها على أكمة يابه ثم أدارت الأكمة ببطء وهدوء فانفتح الباب، كانت تعج الغرفة في ظلام دامس... ظلت للوهلة الأولى أن لا أحد فيها... ولكنها سمعت حركة، وصوتاً مخنوتاً من السرير. فجأة ومض النور، ووجدت قيدل يستند إلى مرافقه شخصاً بصره إليها.

لم تستطع الكلام... وبدا أنه كذلك لم يستطع الكلام... لكنه على الأقل لم يطردها من غرفته... تشجعت قليلاً ثم أغلقت الباب ببطء خلفها وتقدمت إلى السرير. لحقت بها العينان الزرقاء وهي تتوجه إلى السرير. لم تتردد سوى لحظة. كانت أناملها على غطاء الفراش وعيناه في عينيه توسلان إليه لا يرفضها.

ولم يرفضها ولكنه لم يساعدها أيضاً. أخيراً تسللت إلى جانبه. مترجمة، عندما لم يقترب منها أو يلمسها شرعت نفك أربطة روبياً الحريري.

راقبها نفك الرباط الأول فالثاني ولما لم يتحرك شعرت بالتوتر الذي تأرجح كالحاجز بينهما... كان وجهه جافاً خشنًا، وعيناه باردين متعبيتين. علق الرباط الثالث في عقدة وضفت أوروسولا شفتيها محبوظة. ارتجفت أناملها كثيراً بحيث عجزت عن التعامل مع الشرانط الرفيعة... أخيراً، صاحت متزعجة، ورفعت بصرها إليه. ولكنها لم تستطع قراءة ما في عينيه من تعبير... بدا وجهه غاضباً، مذهبولاً، مزدرياً... ولكنه كان يريدها... أحست بحركة ما تجري بين أحاسيسه

التضاربة.
أخيراً تحرك ماداً يديه إلى روبيها... وسرعان ما سمعت صوت تمرق حاد. وكان هذا كل ما فعله. لم يقل لها شيئاً، ولم يتحرك نحوها... بل عاد يسلقي مستنداً إلى مرافقه... ولكن النور في عينيه تغير... فالقصيدة الخبيثة أصبحت تحدباً قابله تحدب آخر. فراح تنزع ببطء الحرير عن كثبها.

لقد فعلت ذلك مراراً من قبل، وكان قيدل كلما فعلت ذلك يسارع لدفن وجهه في صدرها ويجدلها معه... لماذا لا يفعل هذا الآن؟ لماذا تستطيع أن تفعل غير هذا؟... اقتربت منه ببطء تعانقه عناقاً بطيئاً سريعاً ثم أعقبته بعنق آخر.

عد يده بعذابة يرفع يده إلى ظهرها... فجأة لم يعد يستطيع مقاومة المد الجارف الذي تصاعد ليغدقهما معًا... تأوهت أوروسولا قائلة في نفسها إن كل شيء سيسير على ما يرام.

أخيراً كسر الصمت بصوت عميق قوي فيه طيف انتصار...
- كنت أعرف أنك لن تتمكنني من البقاء بعيدة، فأنت تعرفين تماماً كيف تجري بيتاً الأمور التي ستدوم إلى الأبد.

تأوهت... أجل... إنها تعرف... تعرف أنها إذا لم ترحل غداً فلن تشعر بالطمأنينة أو هدوء البال أبداً كما تعرف أن حياتها س تكون سلسلة عذابات كهنة الليلة... ليلال يعجزان فيها عن إنكار حاجة كل منها إلى الآخر، يعقبها أيام من عذاب التساؤل عنمن تكون معه الآن.

لم تستطع أوروسولا إلا التمسك به والدموع في عينيها، تعزم شفتيها، مقطوعة الأنفاس، غاضبة ومع ذلك راغبة في حبه، بل في مجرد وجوده معها.

يذا لها نائماً... فمدت يدها تعطيه... أحست بثقله وبروعته... استلقت إلى جانبه تستمع بكل لحظة رائعة، ثمينة... ملست شعره

الأشعث وتركت أصابعها تنسد إلى كفيه.. لكن كل هذا ليس صحيحاً.. إنه مجرد ادعاء.. إنها بكل ساطة تخدع نفسها.. تظاهر أنها دافئان وقربيان، والواقع أن قيد بقى في عالمه الخاص.. رغبته فيها لم تزد عن كونها رغبة رجل في امرأة جذابة.. وهل هناك رجل قادر على رفض عرض مغرٍ كهذا؟! ما حصدت لم يعن له شيئاً آتاه لها فاء.. لأن ما حدث سيقى حيائني ذاكرته.

* * *

١١ - أرجوك اتركني!

أخيراً، نام قيدل.. واستلقت أورسولا قريء في السرير الكبير مرهقة.. مع ذلك، كان العذاب يحول بينها وبين الراحة.. إنها مجونة بالطبع لأنها حكمت على نفسها بحبة ستكون فيها دائماً المرأة الثانية.

نظرت بحب إلى الشعر الأشعش الأسود على الوسادة.. حسن جداً.. لقد تزوجها لأسباب خاطئة فهو ما زال يحب رونا وعليها التعايش مع هذه الحقيقة، وبعد السحر الذي تذوقته البارحة، عرفت أنها لن تجد القوة للرحيل. أغمضت عينيها، متذكرة كيف عيدها حسناً وكيف استطاع أن يأسرها في عالم من صنعتهما فقط.. وإن لم يكن يحبها قولاً فهو يحبها عملاً.. حسناً، إن لم يكن ذلك الحب الذي توقعته فهو حظها العائز لأنها تعرف الآن أنها لن تكون سوى المرأة الثانية في حياة قيدل الذي ستلتقي منه ما تلقته الليلة.. كيف لا ترضى المرأة بمثل هذا الرجل، وتحت أي شروط؟

تسلل ضوء الصباح الرمادي من وراء الستائر فأدركت أورسولا كم تأخر الوقت.. يا الله! ربما يكون هنا الآن! عليها بطريقة ما الذهاب إلى الشاطئ لتقول له إنها ليست راحلة.

لم يكن التسلل من السرير، وارتداء الجينز أمراً سهلاً.. سمعت صوتاً في الودهة، فسارت إلى الباب.. جيد.. لقد

ذهبت الخادمة، وأصبحت غرفة الجلوس خالية. وما هي إلا لحظات حتى خرجت من الفيلا من دون أن يراها أحد من الخدم. لقد تأخرت إنها الثامنة. عندما كانت تركض سمعت مركباً يصطدم بالرصيف ولكن لم يكن مركب ريكو فهذا أقدم من ذاك. لكنها لم تتبه له جيداً.. لا بد أنه يوصل الخضار.. وقف تحت شجرة وارفة الظلال ثم ركضت ناسية المركب ومن فيه.

حينما أصبحت على الشاطئ لم تجد أثراً لريكو.. هل تأخر؟ هل وصل ثم رحل؟ هل غير رأيه وعدل عن المعنى؟

جلست فوق صخرة تحدق إلى البحيرة في هذا الصباح الهادئ.. كم تبدو اليوم مختلفة.. لا شك أنها من أجمل بقاع الله.. ثم شاهدت مركب ريكو آتيًا من زاوية مختلفة هذه المرة.

هبت واقفة تلوح بذراعيها، ثم صاحت وهو يتوجه بالمركب إلى الشاطئ: «خلتني قد عدلت عن رأيك».

ساعدته على جره إلى خارج الماء، فاستند إلى الحصى.. بدا متورتاً وغاضباً.. كانت عيناه السوداوان تجوبان الصخور والأشجار بحثاً ثم سأله: «أين أغراضك؟

- اسمع.. لا أدرى كيف أقول هذا لك.. لقد كنت في غاية اللطف معك..

- أنت غير راحلة.. عدلت عن الفكرة؟ حين هزت رأسها بوضوح، فقهت قهقةة مشرقة، انتهت إلى غصب.. نظر إليها وكأنه كرهها فجأة.. فقالت:

- ريكو.. خلتك ستشعر بالرضى..

- الرضى! أوَ بعد هذه المشقة وبعد ما بقي من..

وصمت يتحقق إلى ما وراءها.. تناهت إلى مسامعها وقع أقدام راكضة. التفت بعنف خائفة من هوية القاسم الذي لن يكون سوى

ثيدل.. ولكنه لم يكن وحده.. تقدم ثيدل أولاً وخلفه امرأة سوداء الشعر.. ليست إيمابل رونا.. ماذا تفعل هنا بحق الله؟ وكيف عرفت؟
قالت الكوتيسة: «أشكر الله لأنتم لم تتأخرَا»
لكن عيني أورسولا استقرتا على زوجها.. زوجها الذي تركه في الفراش قبل نصف ساعة.. زوجها الذي كانت بين ذراعيه، طوال الليل.. ولكن، لم يكن في وجهه أثر للحب الذي أظهره.. لا قلق أو تهم.. شاهدت الغضب، الغضب الأعمى، الذي حول وجهه إلى وجه كريه متوجّش.

- إن لمست زوجتي قتلتك.

صاحت أورسولا عندما رأته بهجوم عليه:

- توقف عن هذا ثيدل.. احباً بالله!

ولكنه لم يسمعها، وصاح به: «ماذا تفعل هنا؟»

وقالت رونا متولدة:

- الذنب ذنبي.. عرفت أن لديه شخصاً آخر فقد أخبرني كل شيء.. ولكتني لم أحلم بأن تكون أورسولا.. لو كنت أعلم من.. وصممت مدعية الإحباط.. عمَّ تتحدث رونا بحق الله؟ أتعرف ريكو؟ ماذا قال لها؟ ولماذا؟ بدأت أورسولا تشعر بغضب جاءه وليد اللعبة التي فهمتها أخيراً.

تكلم ريكو، بالإيطالية سرعة وانفعال مشيراً إلى المركب وإلى أورسولا.. وتابع كلامه الذي لم تفهم منه شيئاً وأصبح وجه ثيدل أيضاً من شدة الشحوب وكان يمسك بذفافسه.. وهو لا يفعل هذا إلا إذا ما أخذ الغضب منه مأخذة.

جاء دور الكوتيسة التي كانت تصريح بريكو بالإبطالية أيضاً.. هل هي مؤامرة لإخراج أورسولا عن طرورها؟
أخيراً صاحت أورسولا: «هلاً شرح لي أحدكم ما يجري؟»

سرعان ما ران صمت مطبق الثف على أثره الجميع محدقين
إليها . وقال فيدل :

- ستناقش هذا الموضوع في الداخل ، انتظريني في المكتبة
أورسولا .

- لن أطع أمرك .. هل جنتم جميعاً .. ؟ ريكو ليس مسللاً لأنني
سمحت له بالمجيء ..

نظرت إلى فيدل تضحاء أن يذكر سلطتها كزوجة له :

- .. ربما يود أحدكم شرح ما تفعله رونا على أن يكون ذلك باللغة
الإنكليزية .

فتح فيدل فمه ليكلم ولكن الكوتيسة سبقته :
- كان ذلك غلطة مني .

كأنها توسل إلى أورسولا السامحة ، وأكملت :

- لم أكن أعرف أنك كنت مستوحشة إلى هذا الحد .. حاولت
مصالحتك لنقضي إلى بسرك .. مع ذلك لم أر .. لم أدرك .. أنك
اتخذت لنفسك شيئاً

صاحت أورسولا : «ع شيئاً؟»

وهدر فيدل مرة أخرى فارتدى ريكو ، أما أورسولا فقالت :
- أنت مجنونة !

اتسعت عيناها الخضراء واندھشة تنظر إلى المرأة التي تعلق بذراع
فيدل وكأنها تقوده إلى الظن بأنها تسخه لثلا يركب هفوة فظيعة .

- ليس الأمر كما تتصورون . أخبرهم ريكو .

لكن معرفتها باسم الشاب زاد من غضب فيدل ، الذي صاح :

- متذمتي ؟ وكم مرة ؟

صدرت منه الكلمات بطريقة لا واعية ، ثم بدا نادماً عليها .
سألت غاضبة : أما زلت أريد معرفة شأن رونا بهذا والغرض من

وجودها هنا .

- أنا هنا لأمنعك من ارتياح غلطة فظيعة .. فأخي فعل شيئاً كهذا
سابقاً . وما كان يجب أن أدعوه .. جاء إلى البحيرة فقط ليرى مرتكباً
هذا ما قاله لي .

قاطعتها أورسولا : «أحوث؟»

أخذت تنقل بصرها من رونا إلى ريكو ، تلاحظ الشبه الواضح
الذي عزنه بكل غباء إلى تشابه الإيطاليين :
- ماذما قلت لها؟

ولم يستطع ريكو النظر إلى عيني أورسولا ، ولكن ما يحدث كان
كثيراً على فيدل الذي أفلت من قبضة الكوتيسة وأمسك أورسولا
ورفعها عن الأرض :

- عودي إلى المنزل الآن .. سأنكلم معك فيما بعد .. ولكن أولاً
أريد التعامل مع ..

قاطعته رونا : «لا ، لا تفعل ..»

صاحت بريكو باللغة الإنكليزية ثم تحدثت إلى فيدل الإنكليزية .
- يجب ألا تكون أورسولا .. كان يجب أن ..

ولتكن أورسولا رأت وراء قولها وتصرفاتها قناعاً زائفًا .. فأدركت
أن رونا هي التي خططت لكل هذا .. وأن ريكو وافق على إخواته
أورسولا ، أو التظاهر بأنه أغواها حتى تشتري أخيه الثرية له مركب
سباق جديداً .

ولكن ، قيل أن تقول ما شئت فيه ، دفع فيدل بروننا بعيداً وأمسك
بأورسولا مجدداً وأخذ يدفعها نحو المنزل .

كيف يجرؤ على هذا ! قاومته أورسولا محاولة التخلص منه ..
ثم ازداد الأمر سوءاً ، فقد خرجت إيماناً مذعورة من غرفة الجلوس
تصبح :

ـ آه، الحمد لله إنك سالمة.. وصلت امرأة وبعد وصولها سمعت صياحاً وشخصاً يقول إنك هربت بالقارب.. أنا أعرف مدى كرهك للقارب.. وظنتك غرفت!

كانت في حالة هisterية، تنظر إلى أورسولا وكأنها عائدة من بين الأموات.

ـ أنت لست مبتلة.. هل أندنك أحد؟

ـ أورسولا بخير.. كما نرين.. والآن هل أتركتنا؟

نظرت إلى الجميع بذهول، ثم لفت ذراعها على كتفي أورسولا وصاحت:

ـ ماذا يحدث هنا؟ أنت ترتجفين.. ماذا فعلت بها؟

قاطعها أورسولا تحاول بعث الطمأنينة إلى قلبها: «لا شيء إيماء، ما الأمر إلا خلاف عائلي».

ـ أنا من العائلة، ولن أسمح أن يعاملك..

ـ أفلنته هي على أورسولا أم على مال أورسولا؟

قالت أورسولا: «أرجوك إيماء.. لا داعي إلى هذا».

بدأ أن فيدل على وشك الانفجار.. آه.. يا الله.. هذا هو ديلغي يريد معرفة من سيقي للقطور..

صرفة فيدل، وساد الصمت حتى رحل.. ثم ارتجت الغرفة بالحدث المترفع.. وسألت إيماء: «ماذا يجري؟ هل حاولت الهرب؟»

ـ إنها غلطتي.. أخبرهم ريكو!

زادت روتا على كل هذا: «لبيكم تحافظون على هدوئكم».

وسأل ريكو: «ماذا تريدين أن أقول؟»

ـ الحقيقة!

جعل صراخها جميع من في الغرفة يصمت.. الجميع إلا فيدل الذي بدا غير واثق بشيء حتى بنفسه.

قال ريكو وهو ينظر إلى شقيقه:

ـ ولكنني قلت الحقيقة.. طلبت مني المجيء لأصطحبك من هنا هذا الصباح.. أردت أن تترك زوجك..

أخذت أورسولا بالغثيان، ومادت الغرفة بها سارعت إيماء تلف ذراعيها حولها: «إن حاولت ابتي الهرب فالسبب سوء المعاملة.. فمنذ وصولي عرفت أن هناك خطباً ما».

أخذت أورسولا على كرسي، ثم اتجهت إلى فيدل:

ـ أنا لست غبية.. أستطيع رؤية الأمور بوضوح.. التفت إلى رونا، مدركة فجأة وقوتها الحميمة إلى جانب فيدل..

ثم التفت إلى أورسولا، وقالت بوجه بشع منجهم حقد:

ـ طلقه.. أفيامي عليه الدعوة وأحصل على حقك حتى آخر قرش..

صاح فيدل هادراً: «كفى».

ثم تقدم إلى أورسولا برفعها عن الكرسي بشراسة ووجه الكلام إلى رونا،

ـ أبعديهما من هنا كلاماً.. أبعديهما عن هذه الجزيرة قبل.. وإنما لست المسؤول..

كان وجهه متتوهاً، خطيراً:

ـ لكن..

من الواضح أن رونا لم تتوقع انقلاب الأحداث هكذا.. حين لم تقنع رونا.. ترك أورسولا، وتقدم إلى عشيقته.. وكرر: «أرجوك أبعديهما من أجلي».

وافتقت رونا مبنسمة، وقبلت خده.. فانفجرت إيماء واضطررت أورسولا إلى الإشاحة بوجهها:

ـ لن تستطيع إبعادي عن هذه الجزيرة لأنني أطالب بالبقاء مع

أيني.

كان صوته يقطع جو الغرفة الساكن، واستدارت في الوقت المناسب فرأته يمرر يده على وجهه... بدا مشوشًا، محبثًا، متقل العينين.

قالت غاضبة: «أنت تعرف كل شيء! لقد عزمت الرأي وفضلت تصديق رونا... حسناً... هيا، قل ما تريده».

تقدم إلى مكتبه، يحرك الأوراق بدون أن يرى شيئاً: «أنا لا أصدق أحداً... أرى الواقع فقط أمامي».

صاحت به: « الواقع».

لم تعد تحتمل قوته المكتوبة التي لا ترحم... أهكذا يتعامل مع زبائنه؟ بدون شفقة أو إنسانية؟

ـ الواقع تقول إنك رأيتني على الشاطئ، أكلم ريكو... التفت إليها والغضب يظلم وجهه:

ـ لا تذكرى هذا الاسم! أتریدين القول إنها كانت صدقة؟
ابتلعت أورسولا ريقها، ومسحت كفيها بسوالها: «ليس بالضبط».

ـ ألم تربى لقاءك بذلك الرجل
ـ تقريرياً.

ـ ما تعنين بقولك؟

ـ لم يكن الأمر كما تظن.

ـ وماذا أظن؟

كان صوته غريباً لم تعرف إليه فكاحت تقول: «أردت إبلاغه رسالة».

ـ كم مرة التقينا قبل اليوم؟

ـ هرت كفيها:

ـ لا أدرى... عدة مرات. لم أحظط بشيء. وجده هناك يوماً.

ـ أية زوجك الآن زوجتي، وستفعل ما أقول أنا... عادة يأتي الزائرون بناء على طلبي فقط، أما أنت فلم يدعوك أحد... ثيدل... لا تقاطعني أورسولا... وأنت...».

استدار إلى ريكو، يسيطر على نفسه بصعوبة: « ستغادر هذا المنزل الآن... ولن تعود إليه أبداً... أبداً... إلا إذا رغبت...».

ـ ثيدل... كارا... وانطلقت تكلمه بالإيطالية، تحاول تهدئته ولا شك أن خبرتها في تهدئته تعود إلى عشر سنوات. عشر سنوات، التقطت أورسولا وسادة عن الأريكة ورمي بها.

ـ ثم انطلقت تudo من بين الأبواب إلى الشرفة... لأنها لم تعد تطيق ما تراه. ألم تعن ليلاً أمس شيئاً لثيدل؟ يمكن لثيدل أن يصدق كلمة رونا ويكتبها هي؟ عليها أن تهرب. أخذت تudo على درج الشرفة... ولكنها لم تصل إلى الأسفل لأن أحدهم لحق بها.

ـ دعني أذهب... وعد إليها... ولكن ثيدل كان قد عقد ذراعه حولها وحملها عائداً إلى الداخل.

ـ يجب أن نتكلّم.

ـ ليس الذي ما أقوله لك وإن أعدتني إلى الداخل فسأصرخ مستغيثة!

ـ إذن أصرخي... فمن سيسمعك برأيك؟ أوصلها إلى غرفة الجلوس التي كانت فارغة الآن... ثم اقتادها إلى مكتبه... وركل الباب يقفله خلفه، فهررت أورسولا منه نحو النافذة... والآن سنعرف الحقيقة.

ووجدته هناك يوماً!

يا إلهي ما أبغاه فكيف لم تشك في دوافعه

- أ ولم تفكري في تحذيره بأن هذه الأماكن خاصة؟

- إنه يعرف ذلك لأنه شقيق عشيقتك التي كانت تمنحك حق الدخول.

لم يعجبه قوله، ولكنه رد بقصيدة:

- ما هي الرسالة التي كنت تريدين إيصالها إليه؟

ابعدت عنه تذرع الغرفة، أنا . . .

صاحب مقاطعاً بلهجة ثقيلة حادة ولكنك مكترة: «الحقيقة».

- أردت أن أبلغه أنني غيرت رأيي .

وبدلاً من أن تطرق برأسها رأيها بكربياء وتجدي .

- إذن، لقد خططت للهرب معه .

- لا . . . أجل، لكن لا . . .

ربما لو قالت له إنها غارت من رونا، لفهم . . ارتد عنها وظهره

متصلب من شدة الغضب:

- لقد سمعت ما يكتفي

ثم، لم يعد يتحمل فتووجه إليها. كانت تستند إلى المكتب لتدعيم

نفسها وهي واثقة من أنه يهم بضربيها ولكن قبضته هوت على المكتب

بضربة ساحقة. وصاح مزاجراً:

- لماذا؟ أعني . . لماذا غيرت رأيك؟

نظرت أورسولا إليه، وهي تظليل النظر . . تريد منه أن يفهم وأن

يعرف كم تجده، ولكتها متأكدة بأنه يعرف كم تجده . .

غير أنه تراجع ضاحكاً، ينظر إلى السقف مخللاً أصابعه بعنف في

شعره المشعرت . .

- الآن فهمت طبعاً .

كان يضحك من نفسه، ومع ذلك بدت المرارة في صوته والازدراء

في عينيه

- لم يصب توقيتك الهدف . . لقد تزوجتني من أجل المال . .
ولكن، هل وجدت إيمانها لم تل نصبيها؟

نظرت إليه فاغرفة فاها، شاحنة الوجه وسمعته يكمل الإهانة.

- أنا لا أندم . . فأنا مستعد للدفع الكثير لأحصل على امرأة مثلك في فراشي. لديك سحر كبير أورسولا . . أظنه براءة ممزوجة بمعرفة غريبة بما يرضي الرجال . . وبالله من سحر!

أمسك ذقnya بغير وجهها على الارتفاع إليه:

- ولكن النساء اللاتي يتزوجن طمعاً بالمال يملكن هذه المواهب عزيزتي. أخبريني عزيزتي من علمك لأشكره.

صادمها قوله فاشتعل كيانها كله غضباً ثم صاحت به:

- أنا مسؤولة لأنك أدركـتـ أنـ هـنـاكـ فـرقـاـ بـيـنـ الزـواـجـ طـمـعاـ بـالـمالـ وبين رفض الزواج طمعاً بالمال!

أمسكـتـ بشـيءـ زـجاجـيـ كانـ عـلـىـ المـكـتبـ ثـمـ رـمـتهـ بهـ.

لمـ تـعـرـفـ كـيفـ أـخـطـأـهـ فقدـ صـدـمـ ذـاكـ الشـيـءـ الـبابـ الخـشـيـ فـأـزالـ عنهـ الطـلـاءـ،ـ ثمـ انـكـسـرـ مـدـوـيـاـ عـلـىـ السـجـادـةـ السـمـيـكـةـ.ـ شـحـبـ وـجـهـ ثـيـدـ وـتـشـجـتـ عـضـلـاتـ وـجـهـهـ ثـمـ رـانـ صـمـتـ ثـقـيلـ كـادـ يـختـنقـهاـ.

- عندما تستطعين السبطة على نفسك بوقار يليق بزوجتي فساناقـشـ هـذـاـ المـوـضـوـعـ مـرـةـ آخـرىـ . . وـحـتـىـ ذـلـكـ الـوقـتـ أـقـرـحـ عـلـيـكـ الـبـقاءـ وـحدـكـ.

اتـجـهـ إـلـىـ الـبـابـ فـالـنـقـطـ النـقـلـ الزـجاجـيـ،ـ لـكـنـ تـرـدـ:

- سـأـتـأـكـدـ مـنـ رـحـيلـ دـورـيـاسـ وـزـوـجـةـ أـيـكـ حـالـاـ.ـ قدـ تـحـاجـ رـونـاـ إـلـىـ مـسـاعـدـةـ . . يـامـكـانـكـ الـاتـصالـ بـيـامـاـ فـيـ وقتـ ماـ وـاعـلـمـ أـنـيـ سـاعـطـيـكـ الـمـالـ الـذـيـ تـحـاجـيـهـ . . وـيـامـكـانـكـ فعلـ ماـ شـتـ بهـ . . ولـكـنـ لـنـ تـرـيـ ذـلـكـ الرـجـلـ مـرـةـ آخـرىـ . . وـأـقـرـحـ عـلـيـكـ الـابـتـعادـ عنـ

الطريق حتى يغادر الجميع

نظر إلى الثقل الزجاجي، ثم حمله إليها:

- خذني هذا... وارمي مجدداً إذا كان سيساعدك رمي.

وخرج... فأطبقت أصابعها على سطح الزجاج الناعم وضربت قضتها على الطاولة بغضب مجنون يائس.

سمعت أصواتاً في الخارج ووقع أقدام وصباحاً وجداً. توجهت أورسولا نحو النافذة تصم أذنيها بيديها. ومت الثقل الزجاجي على مقعد نائم.. اللعنة على هذا الرجل! لماذا وقعت في حب مثل هذا الجلف الخالي من المشاعر؟

فيما كانت تذرع المكتبة بدأ المنزل يسكن تدريجياً. ثم سمعت صوت المركب. ماذا سيقول الخدم الآن؟ عرفت بكل سهولة أنها لن تستطيع العيش هنا بعد اليوم.. ليس بسبب ما قد يظنه الخدم.. بل لأنها تعرف أن آخر ما لدى قيدل من مشاعر قد ولّى إلى الأبد.

استقرت عيناهما المرهقتان على لوحات أنها. فتذكرت أن قيدل قادر بتفوزه على إيجادها حيئماً حلّت. ولكن ربما تسعى رونا إلى الللاعب به فيفقد حتى الرغبة في استعادة أورسولا.. وربما رغب فيها فقط إذا عرف بأمر الطفل.

ولهذا عليها ألا تخبره كما عليها بطريقة ما أن ترحل قبل أن تضعف مرة أخرى..

كيف يمكنها أن تهرب؟ سقيفة المراكب مليئة بالقوارب.. ولكن المسؤولين هناك سيحولون دون رحيلها.

كان النسيم قد بدأ يهب.. كانت بعض المراكب الشراعية تبحر مسرعة.. ثم تذكرت أن مركب ريكو ما يزال على الشاطئِ.

* * *

١٢ - العاصفة تهب مرتين

مركب ريكو! ترى أما زال على الشاطئ؟ عرفت أورسولا أن بالها لن يتربع حتى تعرف. البيت هاديء الآن، فهل تجرؤ على التزول إلى الشاطئ لإلقاء نظرة؟ تعلمت بحذر إلى خارج باب المكتبة.. الممر الحال. أسرعت إلى الباب الجانبي.. وتسللت إلى الخارج تسعى إلى الطريق الوعرة المنحدرة نحو الخمايل الوارفة الظلالة.. راحت تشق طريقها بصعوبة بين الأشواك والущب المرتفع حتى وجدت الطريق الذي تسلكه عادة إلى الشاطئ.

كان المركب هناك ولكن ماذا إن تذكر قيدل وجوده فسعي بزيبله من مكانه؟ هذه مخاطرة عليها المخاطرة بها. فلن تجرؤ على الرحيل قبل النساء.. إن حبست نفسها في غرفتها وظلت فيها فقد ينسى المركب أرجوك يا الله، دعه ينسى كيف وصل ريكو إلى هنا.

من حسن حظها أن الخطبة نجحت فقد ظلَّ قيدل بعيداً عنها طوال اليوم معتقداً أنها في غرفتها آمنة.. من اليوم بطنينا. إنه يومها الأخير في هذا المكان والجو فيه ملبد مطر. أخيراً حلّت الساعة الثامنة فقررت أنهحان أوان الرحيل. ألت نظرة شاملة متحققة من جواز سفرها ومن بطاقات الاعتماد ودفتر الشبكات أما الكيسان فكانا معدين منذ الأمس. سحبت نفسها عميقاً لتبعد عن نفسها الغثيان، وفيما كانت واقفة في الشرفة لمحت نفسها فجأة في المرأة فإذا بها لا ترى أورسولا

زارا كوتسي التي تعرفها بل تلميذة ترنيجي جينز وقميصاً.

تسللت بحذر إلى الخارج تجر الكبسين خلفها. أغلقت الباب وراءها ثم وضع المفتاح في جيبيها وكانت قد تركت الراديو يصدح والتور مضاءة في غرفتها.

توسلت إلى الله ألا يكتشف أحد هروبيها. كان وجهها متجمهاً ولكنها نهرت نفسها بسبب استيائها، فمن الآن وصاعداً لن تسمح لأي رجل بأن يمتلكها.

نسيت المشعل اليدوي.. اللعنة! لكنها تمكنت من النزول على الصخور ثم تعثرت في الماء، وأخيراً وصلت إلى الشاطئ.

ما زال المركب هناك.. لم يكتشف أحد.. وقت تحدق إليه وهي تشعر بالغثيان ثانية.. ستحتاج إلى قوة كبيرة لتحريره. نزلت أورسولا في الماء ثم رمت الكبسين إلى المركب، وبعد ذلك رفعت الجينز وطفقت تحرك الشراع وبدأت تدفع المركب إلى الخارج. صعب عليها تحريكه ولكنه أخيراً طفا فوق الماء.

ذكرت ليرهه كيف يُشغل ثم لم تلبث أن أسرعت إلى الشراع الرئيسي الذي كان منسلاً. عرفت أن عليها شده من تلك الحلقة لتحملها الريح. وجذبت الشراع ثم ربطته في الحلقة ولكنها لم تجد ذراع الدفة.. لماذا تركتها حتى حل الظلام هكذا؟ لا.. ها هي.. ولكنها كانت في الناحية الأخرى.. جذبت الدفة فتحرك المركب وخرج من العيون الصغير.. ولكنها انتهت إلى أن الريح توجه المركب إلى الجهة المعاكسة وهذا يعني أن المركب سيصطدم بالصخور.

سارعت أورسولا إلى تصحيح الوضع فأعادت ترتيب كل شيء خلفه القلب مرتعضة اليدين. إنها الآن تحمد الله.. لأن ريمكو اصطحبها بتلك الرحلة التي تعلم فيها كيفية تشغيل المركب. تحرك المركب الآن ببطء لأنها لم تشد الشراع بحيث يجري مع الريح فهي لن

تختاطر بأن يسير المركب بسرعة نحو الشاطئ خاصة وأن أمواج البحيرة بدأت ترتفع.

كان كل ما يحيط بها كابوساً غير أنها استطاعت الجلوس عند الدفة وأحدى بيديها على النزاع أما الأخرى فلمسكت بالشراع استعداداً لشنده من الحلقة إذا ما هددت الريح المركب. ألغت نظرة الأخيرة على الفيلا فترقرقت عينيها بالدموع.

كم من الوقت مضى عليها وهي هنا فوق المياه؟ إنها ترى الآن أنوار بلدة موتي فيرنو ولكن أتونهم ما تراه أم أن السحب المنخفضة تلاعب بصيرها؟

بعد نصف ساعة أخرى عرفت أنها غير واهمة فالمطر عاد إلى الانهيار وبدأت الأنوار تبعثر وهذا يعني أن الريح تبعدها عن هدفها. إن أرادت السير إلى الأمام فعلتها أن تفتح الشراع وتشد من خلال الباركرات الخاصة به.

مضى الليل وكأنه لن يتنهي وراح الربيع ترسل نفحاتها الشيطانية نحو الأنوار. وأخذ المركب ينحرف عن وجهه عائداً بها إلى نقطة البداية ثم امتلاً قعر المركب بالمياه وتجمدت قدماتها وكانت كلما حاولت تغيير مكانها تقع وتؤدي قدميها ولكن المركب لم يصطدم ويتحطم بـ انطلاق بها.

مضى الليل ووجدت أنها لا تعرف موقعها من جزيرة قيدل.. إنها متعبة وعاجزة فالأمواج تزداد سوءاً، غير أنها من حسن الحظ وجدت دلواً بلاستيكياً قد يساعدها على إفراغ الماء من المركب.. ولكنها تأخرت على تصحيح الوضع فقد أرادت الأمور سوءاً بحيث عاد لا ينفع شيء مع هذه المياه المنهرة بغزارة.

لم تتمكن الريح عن الهبوط ولم يتوقف المطر. كان الشراع هما الرئيسي، فقد ظل مرفراً حيناً وملتوياً آخر. فجأة أدركت أن عليها

إنزال الشراع قبل أن ينقلب المركب رأساً على عقب. شعرت بالغثيان مرة أخرى ولكنها مضطربة إلى إنزال الشراع فكان أن شقت طريقها إلى الأيام، تاركة ذراع الدفة، ثم جسمت على ركبتيها حتى لا يرميها الشراع إلى الماء إذا ما تحرك من مكانه.

أخيراً وجدت الجبل المربوط في أسفل الصاري. كانت أصابعها باردة متشنجـة فكت الجبل تحاول إنزال الشراع ببطء ولكنه هبط بسرعة وقوـة حتى كاد يقع في الماء. عندها أيقـت أنه سينقلب المركـب فسـارعت تـشـدـه إلى الداخـل مـذـعـورـة... يـعـدـما سـجـبـتـ الشـرـاعـ إلىـ الدـاخـلـ تـناـولـتـ المـجـذـافـينـ وـبـدـأـتـ التـجـذـيفـ.

ولـكـنـ ذـلـكـ لمـ يـجـدـ نـفـعاـ. إنـهاـ لـاـ تـسـتـطـعـ روـقـيـةـ الجـبـالـ أوـ الـأـنـوـارـ وـلـاـ تـسـمـعـ إـلـاـ رـتـينـ الـمـعـدـنـ الـذـيـ لـاـ يـنـقـطـ، رـتـينـ بـكـرـاتـ الـجـبـالـ وـهـيـ تـضـرـبـ السـارـيـةـ الـمـعـدـنـيـةـ. اـنـسـلـتـ الدـفـةـ وـدارـتـ بـحـثـونـ مـنـ جـهـةـ إـلـىـ آخـرـيـ وـانـسـلـأـ يـصـاـ الجـبـلـ المرـبـوـطـ إـلـىـ الذـرـاعـ. لـقـدـ اـسـوـدـ كـلـ مـاـ حـولـهـ وـشـرـعـتـ المـيـاهـ السـوـدـاءـ تـصـفـقـ وـجـهـهاـ.

راحـتـ فـرـغـ المـاءـ مـنـ جـدـيدـ. تـرىـ كـمـ مـنـ الـوقـتـ سـتـصـمـدـ فالـمـرـكـبـ يـوـشـكـ فـيـ أـيـةـ لـحـظـةـ عـلـىـ الـاصـطـدامـ بـالـصـبـخـورـ وـعـنـدـهـاـ سـتـهـويـ هـيـ وـالـمـرـكـبـ إـلـىـ الـبـحـرـ الـعـمـيقـةـ الـفـورـ. غـضـبـتـ لـعـزـزـهاـ عـنـ التـعـامـلـ مـعـ الـوـاقـعـ وـغـضـتـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ بـسـبـبـ ضـعـفـهاـ. لـمـاذـ عـلـىـ الـمـنـاخـ أـنـ يـكـونـ شـيـئـاـ هـكـذاـ؟ ثـمـ بـدـأـتـ تـشـعـرـ بـالـخـوفـ يـجـتـاحـ قـلـبـهاـ. الـخـوفـ الـحـقـيقـيـ. وـكـانـ هـذـاـ قـبـلـ أـنـ يـصـدـمـهـاـ نـورـ سـاطـعـ.

نـلـاشـيـ ذـعـرـهـاـ فـيـ ثـوـانـ. فـرـفـعـتـ ذـرـاعـهـاـ لـتـقـيـ النـورـ وـلـكـنـهاـ سـمعـتـ رـغـمـ وـقـعـ المـطـرـ وـزـيـجـرـةـ الـرـيـحـ صـوتـ هـدـيرـ مـحـركـ ثـقـيلـ. وـسـمعـتـ مـنـ يـنـادـيـ باـسـمـهـاـ. ثـمـ شـاهـدـتـ مـرـكـبـاـ كـبـيـراـ إـلـىـ جـانـبـهـاـ وـشـخـصـاـ يـصـبـحـ بـهـاـ أـنـ تـلـقـطـ الـجـبـلـ. إـنـهـ قـيـدـ.

رـفـعـهـاـ بـطـرـيـقـةـ مـاـ مـنـ الـمـرـكـبـ الصـغـيرـ. فـاـصـطـدـمـ الـمـرـكـبـانـ،

وـخـشـبـ أـنـ يـبـعـدـ مـرـكـبـهـاـ. فـوـقـتـ تـمـسـكـ بـالـصـارـيـ. مـاـلـ قـيـدـ فـوـقـ سـيـاجـ مـرـكـبـهـ وـهـوـ يـمـسـكـ بـعـصـمـهـاـ: «ـاـتـرـكـيـهـ، اـتـرـكـيـهـ الصـارـيـ»ـ. إـنـ تـرـكـهـ قـدـ تـنـزـلـقـ مـنـ قـبـضـهـ. صـرـخـ بـهـاـ ثـانـيـةـ: «ـاـتـرـكـيـهـ»ـ.

وـكـانـ فـيـ صـوـتـهـ مـزـيـعـ مـنـ الغـضـبـ وـالـسـلـطـةـ. فـيـ الـوـاقـعـ لـمـ يـكـنـ لـدـيـهاـ خـيـارـ آخـرـ.

ثـمـ اـرـفـعـتـ إـلـىـ الـأـعـلـىـ بـعـصـمـيـهـاـ وـمـنـ ثـمـ بـذـرـاعـيـهـاـ، أـخـيرـاـ عـقـدـ قـيـدـ ذـرـاعـهـ حولـ خـصـرـهـاـ. فـتـمـسـكـ بـهـ وـأـصـبـحـ كـلـ شـيـءـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ. إـنـهـ سـالـمـةـ وـهـيـ تـنـسـكـ بـهـ. إـلـآنـ لـاـ يـهـمـهـاـ شـيـءـ سـوـىـ وـجـودـهـاـ بـيـنـ ذـرـاعـيـهـاـ. لـقـدـ اـعـتـقـدـتـ أـنـهـ لـنـ تـرـاهـ مـرـةـ آخـرـ. شـدـتـ قـبـضـتـهـاـ عـلـيـهـ بـعـدـمـ مـاـ سـطـحـ الـمـرـكـبـ تـحـتـ قـدـمـيـهـاـ، وـأـخـذـ يـمـلـسـ شـعـرـهـاـ مـسـمـتـمـاـ بـكـلـمـاتـ لـمـ تـكـنـ تـسـمـعـهـاـ، ثـمـ تـعـاظـمـ صـوتـ الـمـحـرـكـ الـذـيـ شـغـلـهـ أـخـلـهـمـ.

- هـيـاـ بـاـنـاـ إـلـىـ الـأـسـفـلـ.

اقـتـادـهـاـ قـيـدـ إـلـىـ الـقـمـرـةـ فـيـ الـأـسـفـلـ. أـخـيرـاـ أـدـرـكـ أـنـهـاـ عـلـىـ مـنـ مـرـكـبـ الـكـبـيرـ الـذـيـ يـلـغـ طـوـلـهـ أـرـبعـينـ قـدـمـاـ. غـطـاـهـاـ بـيـطـانـيـةـ ثـمـ تـهـاـوـتـ وـغـاصـتـ فـيـ مـقـعـدـ مـرـكـبـهـ تـمـسـحـ وـجـهـهـاـ بـيـدـيـنـ مـبـتـلـيـنـ. ثـمـ أـحـسـتـ أـنـهـ دـفـعـ فـيـ يـدـهـاـ فـنـجـانـاـ سـاخـنـاـ. إـنـهـ الشـايـ. وـهـيـ لـاـ تـحـبـ الشـايـ بـدـونـ خـلـبـ.

- اـشـرـبـهـ!

رـفـعـتـ رـأـسـهـاـ تـنـظـرـ إـلـىـ الـوـجـهـ الـقـويـ، الصـارـمـ الـغـامـضـ وـكـزـرـ. «ـاـشـرـبـهـ»ـ.

اـرـشـفـتـ السـائـلـ السـاخـنـ الشـدـيدـ الـحـلـاوـةـ وـلـكـنـهـاـ شـعـرـتـ بـأـنـ التـورـ بـدـأـ يـشـحـنـ الـمـقـطـورـةـ فـيـدـعـ ذـاكـ الـخـرفـ الـذـيـ شـعـرـ بـهـ قـيـدـ بـدـأـ غـضـبـ بـظـهـرـ بـرـوضـ.

راحت يداه تجففان ذراعيها وظهرها شعرت بجسمها يتجمد للمساء
أما هو فظل يارداً متحفظاً، متورتاً.. وكانتها لبست سوي كلب صغير
بشير الشفقة.

حاولت أن تقول: «لا حاجة إلى...»
تركها لبحضر لها روباً دافئاً.. أخيراً ارتدت ما هو محظى
وخرجت إلى غرفتها تفرك شعرها بمشففة صغيرة.

كان قيدل يجلس على كرسي ينتظر وصولها.. فأشار إلى كوب
من الكاكاو الساخن وبعض البسكويت فلم تُبْدِ دهشة. من الغريب
كيف يعتاد المرء بسرعة على اهتمام الخدم به. ولكن هذا ليس
عالماها.. إنها لا تسمى إليه.. عندما راحت تحتسي الشراب الساخن
النقط فيدل المشففة التي تركتها ليفرك بها شعره المبلل فلاحظت للمرة
الأولى أن منظره رهيب. كان السروال الجينز ضيقاً ورثاً، وكان إلى
ذلك حافي القدمين وكأنه لم يجد وقتاً لاتصال شيء. الآن وتحت
نظر إليها عندها وجدت أن وجهه هو الذي يعاني حفا.. الآن وتحت
ضوء المصباح رأت حول عينيه الدوائر السوداء الثقيلة كما رأت خطوط
وجه المبتورة الضيقة.

لا، ليس عليها التفكير هكذا. نعم لقد أنقذها اليوم غير أن هذا لا
يغير في الواقع شيئاً، فهو ما زال يقف حيث هو متظراً منها البدء
بالحديث.. ارتفعت قليلاً من الشراب ووضعت الكوب على طاولة
الزيتة.. ثم قالت: «أعتقد أنك تتضرر نفسياً».

قال يكربياء وبرودة.

- ليس التفسير ضروريأ.. فمن الواضح أنك كنت تنوين الحفاظ
على اتفاقك مع دوريانو مهما كلف الثمن.
قطع الغرفة بسرعة.. والغضب يومض في عينيه متضوراً خباتها.
في نيك العينين كلام يقول: «أنت زوجني ولن أدعك تهجريني من

- لماذا؟ كدت تقفين نفسك! فأنت لا تجدين الساحة. البحيرة
حضرت حتى في الجو الهديء. قلت للجميع إن عليك البقاء بمفردك.
كدت أفقد صوابي!

ثم اندفع في سيل من الكلام الذي بدا مختلفاً بين الإيطالية
والألمانية.. كانت عيناه فاسدين ومسطرين. وكان صوته غاضباً،
أجشن منفلاً. انحنى جسمه كله بطريقة عدائية، وكأنه عند أول حركة
تبدل من أورسولا سيكون مستعداً للانقضاض عليها.

ردت بصوت مرتفع: «ما عرفت أن الجو سينقلب بهذا الشكل».
تغير وجه قيدل، وكأن غضبه ارتدى إلى أعماقه. تناول منها فنجانها
الفارغ ووضعه على الأرض، ثم شدها إليه في عنق شرس، تاركاً لها
المجال فقط لتعلق به، ولتدفن وجهها في صدره.. ظلا هكذا حتى
وصل إلى المنزل.

كان كل شيء مشوشًا، ومؤلماً. حملها قيدل إلى البر.. رأت
أورسولا ديلي وزوجته سرعان إليها فشعرت بخجل شديد.. ولكن
سرعان ما نقلت إلى غرفتها وهناك استحوذ عليها الرعب فقد رأت قتل
الباب محطمأ. نظرت إلى قيدل ولكنه لم يقل شيئاً بل بدا وجهه
متجمهاً.

- يجب أن تخلعي هذه الملابس المبللة ثم عليك الاستحمام.
- أستطيع تدبير... .

ولكنه لم يرد عليها، بل فتح البطانية التي تذرثرا وساعدها في خلع
ملابسها المبللة، ثم حملها إلى الحمام حيث تركها ليحضر لها
المناشف.

سمعت أثناء غيابه رنين الهاتف في غرفته، فرد على الاتصال
 بكلمة «نعم» بسيطة ثم «لا» ثم عاد إلى الحمام فوجدها تجفف نفسها
بمشففة كانت هناك.. أحس بعذاب ممزوج بالفرح والألم.. عندما

- أوقعت دوريانو الشاب في شراكك؟ إذن الطيور على أشكالها
غير قيد لسماعه المثل العامي الشائع . ولكنك فهم معناه .
- أنت مخططة ، فأنا لم ..

ثم صمت لأنك سمع طرقه على الباب . فأخذتتم شاتماً وذهب
ليرد . ثم عاد ومعه كيسان من التاييلون :
- ظنوا أنك قد تقلقين على هذا . وهذا كل ما وجده .
سخرت منه : «وهذا كل ما أخذته» .
تلقت عيونهما ، ثم بدا أن الكيسين أثراً اهتماماً
ـ هكذا إذن . أنت لا تأخذين الكثير أثناء سعيك إلى الحرية .
ـ لأنني لا أحتج إلى الكثير .

لم يرد وظل ممسكاً بالكيسين المبللين وبدأ حائزًا أين يضعهما .
أرادت أورسولا أن تتبرعهما منه ولكن الحذر أبىها حامدة .
أخيراً قال لها : «أنا مستعد لنسيان أمر دوريانو» .

وكأنما ما ي قوله يكلفه الكثير غير أنه لم ينظر إليها ، بل أبقى عينيه
على الكيسين . وكانت تعرف ما يحول في تفكيره . إنه يشأ عما
فيهما من أغراض تعتبرها ذات أهمية .
قالت ساخرة ، والذعر يوتر أعصابها : «إن نسيان أمر ريكو لكرم
كبير» .

أخيراً انزع عينيه عن الكيسين وقال بهدوء :
ـ ظنت في البدء أنني لن أستطيع . هذا الصباح ، وصبح
الأمس ، ظنت أنني سأقتلها . وظنت أن كل شيء انتهى . ولكن حين
اكتشفت غيابك .
التفت إلى الباب المكسور وأكمل :
ـ حين أدركتنا جميعاً ماذا فعلت . وبعدما عرفنا أنك غير موجودة

أجل رجل آخر . سأحجزك هنا ولو عنوة ، نعم هو لم يقل هذه الكلمات
ولكنها شعرت بها . كان جسده كله يتنفس بغضب لم يحاول
إخفاءه .

قالت وألم الغضب واليأس الفطيع يغور من داخلها :
ـ هيا . قلها ! لكنك لن تستطيع احتجازني إلى الأبد . سأتمكن
يوماً ما من الفرار و ..

صمتت فجأة ، لأنها وجدت في عينيه حزناً فظيعاً . سأل بلكته
المكسرة : «ماذا يفعل أحدهنا بالأخر؟» .
ـ ثم أغمض عينيه وارتدى عنها .

ـ ماذا بإمكان ريكو دوريانو أن يقدمه لك وأعجز أنا عن تقديميه؟
ارتبكت أورسولا وغضبت على شفتها ثم سرعان ما طغى غضب
يائس على مشاعرها بسب سوء ظنه بها .

فقالت : «أسألك أمامك ما قد يقدمه لي .
التفت إليها فارادفت : «سيقدم لي حريتي» .
ـ حريتك؟!

فكر قيدل في الكلمة وكأنه نسي كل ما يعرفه من الإنكليزية .
ـ خللت التزرت معي .
ـ جاء دور أورسولا لتشجع بوجهها الذي أفلته فجأة الدموع المهددة
بالانهيار . همست متراجحة : «نخطيء جميعاً» .

ـ آه . ربما هكذا .
ـ لهذا كل ما تستطيع قوله . تزوجتني بكل سهولة لتجنب وريثاً
وكنت قبل ذلك قد قررت الاستمرار في علاقتك الفرامية مع رونا
دوراليس . ثم ها أنت تقول ربما تكون غلطنا !

ـ وما هو أسوأ من خداعك . لقد تزوجتني طمعاً بالمال والمركز
ثم أوقعت دوريانو الشاب في شراكك؟

صغير في باريس كانا قد ذهبا إليه قبل زفافهما بليلة . . وبطاقة رحلة المركب في «السين» والصور والزهرة البرية التي التقاطها لها حين تسلقا إلى القلعة المدمرة في «الأندلس» . . رسائله التي أرسلها إليها وهي في باريس . وبطاقات بريدية أيضاً . لقد كان في هذا الكيس كل ذكرى تعبية مهما كانت صغيرة لأنها ما تبقى لها .

تمتم بذهول: «لا أفهم ما يعني هذا أورسولا؟»
انسلت من قبضته، وبدأت تلملم ما كان يضممه الكيس تددم: «اما دمت لا تعرف فلماذا أشرح؟»

أوقفتها يداه بحزم ثم مضت عيناه .

- أخبريني . . أريد سمعها منك .

أخيراً بدأ جها يختنقها، فانهارت تتعلق به وعندما تكلمت كانت كلماتها ضعيفة بحث لم تتجاوز صدره .
أبعدها عنه: «كري ذلك مرة أخرى».

تشئت أورسولا من أنفها ونظرت إليه: «قلت إنني أحبك» .
أغمض عينيه ثم سحب نفساً عميقاً . . فقالت:

- والآن . . أظنك راضياً عن نفسك .

لكنها لم تستطع قول المزيد فقد أعاد وجهها إلى صدره بضمها وبضمها، ثم حملها إلى الجهة الفارغة من السرير . . ماذا تفعل؟ أنت مجتون . . أنت لا تحبني .

لكه كان يحجزها بين ذراعيه .

همس: «أنت لم تقيمي علاقة مع شقيق رونا . . أليس كذلك؟
أجيبي . . أليس كذلك؟»

هرت رأسها نفياً، فأكملا:

- إذن . . لماذا كنت ستذهبين برفقته؟ لماذا أردت الهرب؟

- لم أكن . .

قرب البحيرة عرفت أنني أريدك مهما كانت الظروف .

شهقت وهي لا تعرف كيف تتقبل كلامه . . ماذا يعرض عليها؟
الحب؟ أم العودة إلى لعب الدور الثاني في حياته؟ آه إن هذا لغير عادل!
ولكن . . ماذا عن الطفل . .؟

ضمت شفتها السفلية، تلاعج لكتب الوقت، غير واثقة مما تفعل: «وتتوقع مني . . أن أنسى أمرها؟»

بدا لها غريباً وهو يقول: «استطعين ذلك؟»
أدانت وجهها مجدداً: «لا أدرى».

رباها! ألا يدرى أنها مستعدة لمغفرة كل شيء يتعلق به؟ ثم، شاهدته في مرآة طاولة الزينة، يتظر إلى الكيسين بعيونه . ولم يلبث أن وضع أحدهما على الأرض ثم بدأ بفتح الآخر . آه، لا!

هبت كالريح من مكانها ووصلت إليه .

- أعطني هذا . . لا يحق لك أن تنظر إليه . . إنها أغراضي!
لكرها وصلت متأخرة . . كان قيدل قد أفرغ محتويات الكيس على السرير . آه! لماذا اختار هذا الكيس؟ حاولت أورسولا إخفاء كل شيء، بتجميعها في كومة:
- ابتعد! ما كان يجب أن تفعل هذا! إنها أغراض خاصة!

ثم شهقت متوجحة وقد عجزت عن إخفاء كل شيء بعدما أمسك بيدها . نظر إلى بضعة قمصان وكنزات وإلى الأشياء الصغيرة الأخرى . . أخذ قيدل وهو عابس الجبين يبحث في كنزها الشعرين، صاحت باكية تلوى محاولة تخلص بيدها من قبضته:

- توقف . . ليس عليك ذلك!

وكان كل ما استطاعت فعله هو مراقبة الذهول الذي لم يلبث أن أصبح عدم تصديق. ها هو كل شيء أمامه! بطاقات المسارح . . برامج المسرحيات والحفلات الموسيقية التي حضرها، ولائحة طعام مفهوى

- ولم لا أصدقها؟ الأمر منطقي فتحن تقريباً لم تتعارف إلا لوقت وجيز .

صمتت، فضغط على بدها: «أكملني».

- أليست هي جزء من هذا كله؟

اضطجع على جنبه ينظر إليها مستندًا إلى مرفقه:

- جزءٌ ممادًا؟

- حسناً... إنها... معنادة على هذا النوع من الحياة... إنها من طبقتك... أنا ما كنت لأقدر وحدي على تنظيم تلك الحفلة.

- إذن... لماذا أزعجت نفسك بها؟

لأنها جزء من تقاليد عائلتك.

بدت عليه الحيرة: «ولكنني لم أتوقعها ذكرت في إقامة حفلة في عيد الميلاد ورأس السنة».

تهدت أورسولا: «ليتك أخبرتني بيتك تلك!»

- لم تأسليني

- لا... لم أسألك.

أما زلت تعتقدين أنني عدت إلى علاقتي مع رونا؟

- كنت تقبلها ساعة الألعاب النارية...

هز رأسه: «هي من قبلي وهذا يشكل فرقاً كبيراً».

- لكنك ذهبت لرؤيتها في روما بعد خطوبتنا.

- بحق لها أن تعرف... فالسنوات العشر زمن طوبل حبيبي... وما كنت لأتركها تعرف من أحد سواي

لمست ذقنه الخشن: «لا... لكنها بقيت دائمًا هنا... حولك، ولم تمانع».

- ظنتها تساعدك... وبدوت لي مستمعة بصحبتها.

ابتسم حازماً:

وصمتت، فأبعد خصلة مبللة بالدموع إلى الوراء وقال بخشونة:

- يبدو أنني أنزلت بك تعاسة جمة.

شاهدت تحت نور المصباح القابع في الجهة الأخرى من السرير عينيه المغورقتين بعذاب سري.

لم تعرف للحظات ما تقول... تensed آه... أجل... لكن وكيف ستخبره بالفرح الخاص؟ عندما طال صمتها، ابتعد عنها قليلاً يمرر يده على بشرتها الدافئة... وقال وهو يدفع وجهه في نعومة شعرها:

- أليس علينا العمل على إنجاح زواجهما لراحة باثا... ولسلامة عقلينا... ما دامت تحببتي فأين المشكلة؟

استمر في مداجبها ولكنه فجأة أغضض عينيه، فالعبارات غير المرغوب فيها لم تبعده حتى الآن:

- لكن... لماذا قال دوريانو إنك تهربين معه؟

نظرت إليه أورسولا، وردت بصوت هادئ: «الم يقل إننا سنهرب».

ضحكت ضحكة استغراب غريبة... وكان على وشك ألا يوافقها الرأي... ثم عبس فعرفت أنه يتذكر ذلك المنظر الرهيب على الشاطئ عندما صاحت رونا: «إنها غلطني... الحمد لله أنا وصلنا في الوقت المناسب!»

حمد ثيدل... وشاهدت الشك، وعدم التصديق، والغضب تتقطّع في وجهه... ثم ابتعد عنها مستلقياً على ظهره ينظر إلى السقف.

- ماذا كانت تقول لك رونا؟

قالت أورسولا: «روننا لا تقول بل توحى وتتفتح... لقد ألوحت إلى أنكما خططتما... خططتما لتزوجونا أمراً كانت... كما قالت صراحة بأنك توحي العودة إليها بعد أشهر».

- وأنت صدقها؟

السكر في فنجان قهوةي التي عجزت عن احسانها .. ما بالك حبيبي؟
لماذا تضحكين؟

- آه لا يهم.

ذكرت أن حادثة السكر نفسها هي التي جعلتها تقع في حبه
لكنها لن تخبره الآن.

- أنت مجتون لأنك وقعت في حب نكرة صغيرة مثلـي .. انظر إلى
المشاكل التي سببها لك.

رد بكلمات جادة:

- لا تقولي هذا أبداً .. ولكنني كنت أسوأ من مجتون، لأنني نسيت
كم أنت صغيرة .. كانت خلطة مني أن أتوقع تقبيلك لرونا .. صدقيني
حبيبي، لم أكن أعرف ما كنت تفعل بك.
فجأة، صارت الكونية الكبيرة غير مهمة لأن قيدل لا بحب
سواءها.

- دعـنا لا نتكلـم عنـها

فجأة تذكرت زوجة أبيها .. فقالـت:

لم أـعـطـ إـيمـاـ المـالـ لـأـنـيـ لمـ أـجـدـ ذـلـكـ منـاسـباـ.
سـئـلـ شـعـرـهاـ: «ـسـتـكـلـمـ عـنـهاـ لـاحـقاـ،ـ رـبـماـ نـسـطـعـ القـيـامـ بـشـءـ ماـ
مـنـ أـجلـهاـ».

عندما تسلل نور الصباح الرمادي الضبابي من خلال الستائر استلقى
يهدوء. أورسولا نائمة على كتفه وهو يستمد شعرها متعباً جعله لا
يقوى على تغيير ملابسه لندام. شعرت بأنها تالت مع بيت غامر
وإحساس بالاتمام إلى هذه العائلة .. عائلة! آه!
ـ قـيدـلـ!

- نـعـمـ صـغـيرـيـ؟ـ

ابتعدت عن ذراعيه .. لقد افترست اللحظة .. وأحسـتـ بـانـجـيـسـ

- أـثـرـينـ،ـ ظـنـتـكـ تـنـصـرـ فـيـ بـحـكـمـةـ مـعـ مـاضـيـ كـمـاـ خـلـتـكـ تـعـرـفـنـ أـنـ
جـبـاـ أـقـوىـ مـنـ أـيـ رـيحـ.

- أـعـكـداـ كـنـتـ تـشـعـرـ؟ـ

- طـبعـاـ،ـ أـثـرـينـ..ـ ظـنـتـكـ تـكـيـفـتـ مـعـ حـيـاتـيـ وـمـعـ دـيـلـيـ وـزـوـجـهـ
وـمـعـ عـامـلـاتـ المـطـبـخـ.

- بـمـنـاسـةـ الـكـلـامـ عـنـ المـطـبـخـ هـلـ نـزـلـ إـلـهـ مـؤـخـراـ؟ـ

- لـاـ،ـ لـاـ أـظـنـتـيـ فـلـتـ.

- هـذـاـ مـاـ ظـنـتـهـ..ـ قـيدـلـ..ـ إـنـهـ مـكـانـ حـارـ جـداـ..ـ وـالـخـدـمـ هـنـاكـ
بـحـاجـةـ إـلـىـ مـكـفـ.

صـمـتـ لـأـنـهـ رـاحـ يـقـهـقـهـ:

- وـتـقـولـنـ إـنـكـ لـمـ تـكـيـفـيـ،ـ حـبـيـيـ..ـ إـذـاـ كـنـتـ قـوـلـنـ إـنـهـ
بـحـاجـةـ إـلـىـ مـكـيفـ فـهـذـاـ مـاـ سـيـحـصـلـونـ عـلـيـهـ،ـ شـرـطـ أـنـ تـكـيـ هـذـاـ لـلـإـلـاـشـافـ
عـلـىـ الـعـلـمـ.

هـمـسـتـ: «ـأـحـبـ الـبقاءـ مـدـدـ أـطـوـلـ».

- أـنـتـ رـائـعـةـ..ـ لـمـ أـحـبـ اـمـرـأـ كـمـاـ أـحـبـ.

وـانـحـنـ يـعـانـقـهـاـ مـعـدـاـ.ـ وـكـانـ كـلـ مـاـ رـادـتـ عـلـيـهـ: «ـآهـ»
وـلـكـنـ كـانـ فـيـ أـعـماـقـهـاـ فـيـضـ مـنـ أـمـلـ وـحـبـ وـفـرـ..ـ ثـمـ عـادـ
لـيـسـلـقـيـ عـلـىـ ظـهـرـهـ:

- أـثـرـينـ..ـ حـدـثـ كـلـ هـذـاـ فـيـ بـارـيسـ..ـ هـلـ أـخـبـرـتـكـ يـوـمـاـ عـمـاـ
جـرـىـ فـيـ بـارـيسـ؟ـ

شعـجـبـهاـ فـيـ عـيـبـهاـ وـهـيـ نـهـمـ بـالـكـلـامـ..ـ وـلـكـنـ أـسـكـتـهـ بـاـصـبـعـهـ:

- التـقـبـتـ هـنـاكـ بـتـلـكـ الطـالـبـةـ،ـ بـتـلـكـ الرـسـامـةـ المـجـنـونـةـ.ـ كـانـتـ
تـرـنـدـيـ جـيـزـاـ ضـيـقاـ وـمـعـطـاـ قـدـرـاـ خـاصـاـ بـالـرـسـمـ أـمـاـ شـعـرـهاـ فـكـانـ أـشـفـرـ
وـلـكـنـ أـقـصـرـ مـنـ شـعـرـكـ بـقـلـيلـ.ـ وـفـيـ أـحـدـ الـأـيـامـ اـبـتـسـمـتـ لـيـ فـيـ المـقـهىـ
وـوـقـعـتـ فـيـ حـبـهـاـ..ـ وـكـنـتـ مـذـهـلـاـ ذـهـوـلـاـ جـعـلـنـيـ أـضـعـ ثـلـاثـ مـلاـعـنـ مـنـ

أنساها وتوترها: أرجوك يا الله، دعه يتقبل هذا... دع هذا يظهر في عينيه

- اور سو لا... ما بک؟

فجأة التقط الإثارة منها وقال بلكته المثير:

- عم تحاولين محادثتي؟ عن رسمك؟ أتريددين متابعة الدرس؟ لقد اهتممت بهذا.. وجدت لك فناناً في ميلانو.. وبإمكاننا البقاء يوماً في الأسبوع معاً هناك.. إنهم متاز.. وستحبين حضور دروسه..

فاطمة لترف الــ الــ الــ

- لِلْمُلْكَ -

حين بدت عليه الدهشة، ابسمت له بخجل وإشراف وقالت:

- على الدروس، أن تنتظر فترة.. لأنني.. أنا.. أظن.. أن لدى ما

آخر لقاء